مؤسسة صرح الخلافة

تقدم

تفريغ سلسلة:

البِرُّ حُسنُ الخُلُق

الصادرة عن إذاعة البيان

الطبعة الأولى

1447 هـ





بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ سلسلة

البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ

الصادرة عن إذاعة البيان

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ

مركز إنتاج الأنصار



مؤسسة صرح الخلافة



لئنْ كانوا يقيمونَ المحافلْ *** ويُحيُونَ الطُّقوسَ بلِ الرَّذائلْ

فقولوا لا، أتى الحقُّ دَموغًا *** ليُبطِلَ سحرَكم يا أهلَ باطلْ

بسلسلةٍ معنونةٍ ببرٍّ *** فموتوا غائظينَ أيا أراذلْ

فإنَّ الحقَّ يبقى لا امتراءً *** وسحرُكُمُ -وربِّ البيتِ- زائلْ

ألا يا إخوتي هيَّا جميعًا *** وكونوا سامعينَ لذي الفضائلْ

يهبْكُمْ ربُّكُمْ أخلاقَ حسْنٍ *** سواميَ عالياتٍ كالأوائلْ

الفهرس



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

ففي ظلِّ هذا الفسادِ العريضِ في الأخلاق، يسرُّ إخوانُكم في مؤسسة صرح الخلافة أن يقدموا لكم تفريغًا لِمَا يُسِرُّ الموحدينَ ويغيظُ الفسقةَ والفجرةَ والكافرين، والَّذي قلَّ في هذا العصرِ نظيرُه، وطُوِيَ منذ قرونٍ مِن بين البرايا محتواهُ ومضمونُه، إنَّها سلسلةٌ تبيِّنُ للنَّاس الأسبابَ الموجبةَ لمحبةِ الله للعبد، وتوضِّحُ الأسبابَ الموجبةَ لمرافقة العبدِ للنبيِّ ﷺ، وتشرحُ أثقلَ شيءٍ في ميزان العبد يوم القيامة، ألا إنَّها السلسلةُ الصَّادرةُ عنْ إذاعةِ البيان، المعنونةُ بقولِ النبيِّ ﷺ: (البرُّ حسنُ الخُلُق).

وهي سلسلةٌ فريدةٌ في نوعها، جزيلةٌ عظيمةٌ كبيرةٌ بمحتواها، قليلةٌ بألفاظها، كثيرةٌ بمعانيها، مكوَّنةٌ من ثلاثَ عشرةَ حلقةً، تمَّ مراجعتُها نحويًّا ولغويًّا، وُجِّدَتْ في السلسلةِ علاماتُ التَّنصيصِ للآياتِ والأحاديثِ كلٌّ على حسبه، ووحِّدَتْ كذلك الألوانُ للآياتِ والأحاديثِ والأشعارِ كلٌّ على حسبه، وخُرِّجَتِ الأحاديثُ النبويَّة.

نسألُ الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ أن يحسِّن أخلاقَنا، ويرمِّمَ ما انهدم مِن طبائعنا، ويكرِّمَ سجايانا، ويجعلَنا أشدَّاءَ على الكافرين، رحماء بالمؤمنين، أذلَّةً على المؤمنين أعزَّة على الكافرين، كما ونسأله -سبحانه- أن يجنِّبَنا صفات المنافقين، ويجيرَنا من كل خُلُقٍ ذميم، إنه بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم.

إخوانكم في صرح الخلافة



مقدمة البرنامج

إذاعةُ البيانِ تقدِّمُ برنامج: "البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ"



الحلقة الأولى

إنَّ الحمدَ لله تعالى نحمدُهُ، ونستعينُ به ونستغفره، ونعوذُ باللهِ تعالى مِن شرورِ أنفسنا ومِن سيِّئاتِ أعمالنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومَن يضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسوله، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)} [سورة آل عمران]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءًۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [سورة النساء]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [سورة الأحزاب].

ثمَّ أمَّا بعدُ أيُّها الأحبابُ الكرام: اعلموا تمامَ العلم أنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ الله، وأنَّ خيرَ الهدي هديُ رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا-، واعلموا أنَّ شرَّ الأمورِ محدثاتُها، وأنَّ كلَّ محدثةٍ بدعة، وأنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وأنَّ كلَّ ضلالةٍ في النَّار؛ ثمَّ أمَّا بعدُ أيُّها الأخيار:

أخي الحبيب، هل تريدُ أن يُحِبَّكَ النبيُّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-؟ هل تحبُّ أن تكونَ مِن أحبِّ النَّاسِ إلى النبيِّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-؟ هل تحبُّ أن تكونَ قريبًا من النبيِّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- في الجنَّة؟ أخي، هل تحبُّ أن يَكمُلَ إيمانُك؟ هل تريدُ أن تَبلُغَ درجةَ الصَّائمِ القائم؟ هل تحبُّ أن تكونَ مِن خيرِ النَّاس؟ هل تحبُّ أن يضمنَ لك رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- بيتًا في الجنَّة؟ أبشرْ أخي الحبيب؛ عليكَ بحسنِ الخلق.

قالَ رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا- في الحديثِ الَّذي رواه الإمامُ مسلمٌ في صحيحِهِ قال: (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ).

هل تريدُ أن يحبَّكَ النبيُّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا-؟ قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- في الحديثِ الَّذي رواهُ الإمامُ التِّرمذيُّ وحسَّنَهُ[١] عنْ جابرٍ -رضي الله تعالى عنه- أنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- قال: (إنَّ مِن أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلسًا يَوْمَ القِيامَةِ؛ أحاسِنَكُمْ أخْلاقًا)، إنَّهُ حسنُ الخلق!

أخي الحبيب، قد تعملُ أعمالًا كثيرةً وتجتهدُ فيها وتتعب، ويضيع عملُك بسوءِ الخلق، أخي الحبيب، قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (إنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ)[٢]، قالَ رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)[٣]، والحديثُ أخرجهُ الإمامُ البخاريُّ في صحيحِهِ[٤].

بلْ قالَ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)، وهناك روايةٌ مشهورةٌ بينَ النَّاس: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)[٥]، والصَّحيحُ الَّذي أخرجَهُ الإمامُ البخاريُّ في كتابه الأدبِ المفردِ بسندٍ صحيحٍ قال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ).

هل تريدُ أن تبلغَ درجةَ الصَّائمِ القائم؟ روى أبو داودَ في سُنَنِهِ بإسنادٍ صحيحٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (إنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ).

---

[١] قال الترمذي: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ من هذا الوَجْهِ.

[٢] رواه أبو داود وأحمد وابن حبان والحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[٣] رواه أحمد والنسائي والترمذي، وقال: حديث حسن، ولا نعرف لأبي قلابة سماعاً من عائشة.

[٤] الصواب أن البخاري لم يروه.

[٥] رواه البيهقي في السنن الكبرى ومالك في الموطأ.

هل تحبُّ البرَّ؟ هل تريدُ أن تنالَ البرَّ؟ روى الإمامُ مسلمٌ في صحيحِهِ أنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- قال: (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ).

هل تريدُ أن تكونَ مِن خيارِ النَّاس؟ روى البخاريُّ ومسلمٌ في صَحِيحَيْهِمَا أنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- قال: (إِنَّ مِنْ خِيارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا)، وفي رواية: (أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا).

هل تريدُ أن تُثَقِّلَ ميزانَك؟ قال رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- في الحديثِ الَّذي رواهُ الإمامُ التِّرمذيُّ في سُنَنِهِ وقال: "حسنٌ صحيحٌ"، قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، فَإِنّ اللهِ تعالى لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ)، أعوذُ بالله مِن الخذلان.

هل تريدُ أن تُكْمِلَ إيمانَك؟ قال رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- أيضًا في الحديثِ الَّذي رواهُ الإمامُ التِّرمذيُّ قال: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيارُكُمْ خِيارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ)[1]، نعمْ أخي الحبيب، إنَّ كثيرًا مِن إخوانِنا يكونُ بينَ إخوانِهِ حَسَنَ الخُلُق، يتعاملُ معهم ويبتسمُ ويضحكُ ويعاملُهُمْ بالحسنى، فإذا عادَ إلى بيته؛ فهو فظٌّ غليظ! (خِيارُكُمْ خِيارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ).

وعنْ أبي هريرةَ -رضي الله تعالى عنه- قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عنْ أكثرِ مَا يُدخِلُ النَّاسَ الجنَّة؛ قال: (تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ)[2].

هل تريدُ أن يضمنَ لكَ رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- بيتًا في الجنَّة؟ فقدْ روى أبو داودَ في سُنَنِهِ بإسنادٍ صحيحٍ[3] عنْ أبي أمامةَ الباهليِّ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا،

---

[1] قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صَحِيحٌ.

[2] رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وابن ماجه والترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. وصححه الحاكم.

[3] قال النووي: حديث صحيح.

وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ)، يا صاحبَ الخلقِ الحسن، فزتَ بخيرِ الدُّنيا والآخرة، يا صاحبَ الخلقِ البذيء، احذَرْ فأنتَ على خطر.

هل تريدُ أن تكونَ مِن أحبِّ النَّاس إلى رسولِ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-؟ هل تريدُ أن تكونَ مِن أقربِ النَّاس إلى رسولِ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-؟ روى الإمامُ التِّرمذيُّ في سُنَنِهِ عنْ جابرٍ -رضي الله تعالى عنه- أنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- قال: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا)، تكونُ من أحبِّ النَّاسِ إلى رسولِ الله ﷺ، وتكونُ من أقربِ النَّاس إلى رسولِ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، أبشِرْ. واحذَرْ -يا صاحبَ الخُلُقِ البغيض- وإنْ كنتَ مِن أفضلِ النَّاسِ وأصلحِ النَّاس! (وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، وَالمُتَشَدِّقُونَ، وَالمُتَفَيْهِقُونَ)، قالوا: يا رسولَ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، قد عَلِمْنَا الثَّرثارونَ والمتشدِّقونَ، فما المتفيهِقُونَ؟ قال: (المُتَكَبِّرُونَ)[1]، الَّذي يتكبَّرُ على النَّاس، يرى أنَّهُ أفضلُ مِن النَّاس، يرى أنَّه أعلمُ مِن النَّاس!

يا عبدَ الله، أنتَ مسكينٌ ضعيف، تحتاجُ الحسنةَ؛ قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا-: (لَا يَحْقِرَنَّ أحدُكُمْ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ)[2]، وقالَ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أخِيكَ، صَدقةٌ)[3]، وقالَ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (لا يحقرنَّ أحدُكُمْ مِن المعروفِ

---

[1] قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

[2] رواه مسلم.

[3] رواه ابن حبان والبزار والترمذي، وقال: هذا حَديثٌ حَسَنٌ غريبٌ.

شيئًا[1] [...]، ولو أنْ يُفْرِغَ مِن دَلْوِهِ في دَلْوِ أخيه[2])[3]، اللهُ أكبر! أشياءُ نراها يسيرة، ولكنَّها تحملُ معنى حُسْنِ الخُلُق.

ولذلك -أخي الكريم- هذهِ فضائلُ حسنِ الخلق، فعليكَ بحسن الخلق، وتعالوا معنا -أحبَّتي في الله- في هذهِ السِّلسلة؛ نتعلَّمْ مِن أخلاقِ نبيِّنا -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا-، نتعلَّم حسنَ الخُلُق في هذه السِّلسلةِ، تكونُ معنا بإذن الله: "البرُّ حُسْنُ الخُلُق".

هذا، وصلَّى اللهُ على محمَّدٍ وآله وصحبِهِ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا، وجزاكُمُ اللهُ عنَّا خيرَ الجزاء.

---

[1] رواه الترمذي من طريق أبي ذر رضي الله عنه: "لا يَحْقِرنَّ أحدُكُمْ شَيْئًا من المَعْرُوفِ، وإنْ لم يَجدْ، فلْيَلْقَ أخاهُ بِوَجْهٍ طليقٍ، وإذا اشْتَرَيْتَ لَحْمًا، أو طَبخْتَ قِدْرًا، فأكْثِرْ مَرَقتَهُ، واغْرِفْ لجارِكَ منه"

[2] رواه الترمذي بنحوه من طريق أبي ذر رضي الله عنه: "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَنَصْرُكَ الرَّجُلَ الرَّدِيءَ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَ وَالْعَظْمَ فِي الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ".

[3] هذا حديث مركب من حديثين لم يرو بهذا اللفظ عن أحد.



الحلقة الثانية

إنَّ الحمدَ لله تعالى نحمدُهُ، ونستعينُ به ونستغفره، ونعوذُ بالله تعالى مِن شرورِ أنفسنا ومِن سيِّئاتِ أعمالنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومَن يضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسوله، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبِه وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ أمَّا بعد:

أحبَّتي في الله، هذا هو اللِّقاءُ الثَّاني في هذه السِّلسلة: "البرُّ حُسْنُ الخُلُق". نسألُ اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يرزقَنا وإيَّاكم حسنَ الخُلُق، تكلَّمنا في اللِّقاءِ السَّابق عنْ فضلِ مكارمِ الأخلاقِ وفضلِ حسنِ الخلق، وذكرنا أنَّ صاحبَ الخلقِ الحسنِ فاز بالدُّنيا والآخرة، نسألُ اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يُحسِّنَ أخلاقَنا، وذكرنا أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- أخبرنا أنَّ أقربَ النَّاسِ إلى النبيِّ ﷺ وأحبَّهم إلى النبيِّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- هُمْ أحسنُ النَّاس أخلاقًا، واليومَ نتكلَّمُ -بإذن الله- عنْ أركانِ الأخلاق.

قالَ ابنُ القيِّمِ -رحمه الله- في مدارجِ السَّالكين، وكتابُ مدارجِ السَّالكينَ كتابٌ طيِّب، ولكن لا بدَّ أن يشرحَهُ أحدٌ مِن العلماءِ أو مِن طلبةِ العلمِ الَّذينَ يعرفونَ منهجَ أهلِ السُّنَّة والجماعة؛ لأنَّ هذا الكتابَ حاولَ فيه ابنُ القيِّم -رحمة الله تعالى عليه- أن يذكرَ مدارجَ السَّالكينَ في منازلِ السَّائرينَ بينَ منازلِ إيَّاك نعبدُ وإيَّاك نستعين، ولكن بعض الأشياءِ تحتاجُ للتَّوضيح حتَّى لا يقعَ الإنسانُ في شيءٍ من التَّصوُّف.

قال ابنُ القيِّم -رحمة الله تعالى عليه- في مدارجِ السَّالكين: "وحُسْنُ الخُلُقِ يقومُ على أربعةِ أركان، لا يُتَصَوَّرُ قيامُ ساقِه إلَّا عليها -يتكلَّم أنَّ حسنَ الخلقِ يقومُ على أربعةِ أركان، مَا هي هذهِ الأربعة؟ تعالوا بنا نرَ- [أوَّلًا:] الصَّبر، [ثانيًا:] العفَّة، [ثالثًا:] الشَّجاعة، [رابعًا:] العدل.



فالصَّبرُ يحملُ الإنسانَ على الاحتمالِ وكظمِ الغيظ وكفِّ الأذى، والحلمِ والأناةِ والرِّفق، وعدمِ الطَّيش والعجلة".

نعم، الإنسانُ حينما يكونُ صبورًا؛ فإنَّه يتحمَّلُ الأذى مِن النَّاس، ولا يؤذي النَّاس، ولا يُعامِلُ النَّاسَ بالمثل؛ فلذلك لا بدَّ للمسلم -ولا سيَّما المجاهد- أن يكونَ صبورًا.

وسمعنا بعضَ علمائنا، وسمعنا بعضَ مشايخِ الجهادِ يقولون: إنَّه يجبُ أن يتحلَّى المجاهدُ بالصَّبر، وصبرُ المجاهدِ يكونُ على أنواع، فمنها صبرُه وجلدُه في المعارك، ومنها صبرُه على إخوانه، وهذا يكونُ أشدَّ أنَّك في المعركةِ أو في خارجِ المعركةِ أو في ساحةِ القتال، فتجدُ بعضَ الأخطاءِ الَّتي تقعُ مِن بعضِ المجاهدين، فلا بدَّ أن تكونَ صبورًا وتتحمَّلَه؛ فنحنُ لسنا كاملين، فكما أنَّه فيه عيوب، فأنتَ أيضًا فيك عيوب، فأنا أتحمَّلُك، وأنتَ تتحمَّلُني، فالصَّبرُ هو الرُّكنُ الأوَّلُ مِن أركانِ حسنِ الخُلُق.

والصَّبرُ يدورُ عليه كثيرٌ مِن العبادات؛ فالعباداتُ إمَّا أمرٌ وإمَّا نهي، فالأمرُ إمَّا أن يأمرَك اللهُ -سبحانه وتعالى- بأن تلتزمَ شيئًا، فهذا يكونُ فيه مشقَّة؛ لأنَّ النَّفسَ كسولة، مِدْعَاةٌ للكسل، النَّفسُ تدعو إلى الكسل، وتأمرُ بالسُّوء؛ فلذلك الأعمالُ فيها مشقَّة، فلا بدَّ أن تتصبَّر، ومَن يتصبَّرْ يصبِّرْهُ اللهُ -سبحانه وتعالى-، وكذلكَ النَّهي، النَّفسُ تميلُ إلى بعضِ المحرَّمات، فلا بدَّ أن تصبِّرَ نفسَك عليها.

والصَّبرُ ثلاثةُ أنواع: صبرٌ على المأمور، وصبرٌ عنِ المحظور، وصبرٌ على المقدور، مَا معنى هذا الكلام؟

صبرٌ على المأمور: تَصْبِرُ على أوامرِ اللهِ -سبحانه وتعالى-، **وصبرٌ عنِ المحظور:** تَصْبِرُ عمَّا حرَّم اللهُ -سبحانه وتعالى-، **وصبرٌ على المقدور:** تَصْبِرُ على أقدارِ اللهِ -سبحانه وتعالى-.

فإنَّه مَا مِن إنسانٍ إلَّا ويمرُّ عليه الخير، ويمرُّ عليه غيرُ ذلك.

فيومٌ علينَا ويومٌ لنا *** ويومٌ نُسَاءُ ويومٌ نُسَرّ

فالصَّبرُ يجبُ أن يتحلَّى به الإنسانُ المسلم، ولا سيَّما المجاهد؛ فالصَّبرُ يحملُهُ على الاحتمالِ وكظمِ الغيظِ وكفِّ الأذى، والحلمِ والأناةِ والرِّفقِ وعدمِ الطَّيشِ والعجلة.

أمَّا الرُّكنُ الثاني مِن أركانِ الأخلاق؛ فهو العفَّة؛ فالعفَّةُ تحملُهُ على اجتنابِ الرَّذائلِ والقبائحِ مِن القولِ والفعل، وتحملُه على الحياء، وكما قالَ رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ)[١]، وقالَ لرجلٍ يعظُ أخاه في الحياء، قال له رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ)[٢].

وهذا الحديثُ له مفهومانِ عندَ العلماءِ شُرَّاحِ الحديث، منهُمْ مَن شرح الحديثَ فقال: (دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ)، يعني: أنَّ الرَّجلَ يعظُ أخاه في الحياءِ فيقولُ له: ألا تستحي؟! يجبُ عليكَ أن تكونَ حييًّا، فإذا به يقولُ له رسولُ اللهِ ﷺ: (دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ)، يعني: لو أنَّ عنده إيمانًا، سيكونُ عنده حياء، هذا هو الشَّرحُ الأوَّلُ الَّذي شرحَهُ بعضُ أهلِ العلم.

الشَّرحُ الثَّاني أو التَّفسيرُ الثَّاني مِن تفاسيرِ أهلِ العلمِ لهذا الحديث: أنَّ رجلًا يعظُ أخاه في الحياء، أي: الحياء المذموم، الرَّجلُ الَّذي يستحي أن يأخذَ حقَّه، يستحي أن يأخذَ حقَّه، فهذا رجلٌ حييٌّ يستحي أن يطالبَ بحقِّه، فقال له رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ)، يعني: إيمانُهُ هو الَّذي جَبَلَهُ على هذا الحياء، فلا تستطيعُ أن تغيِّرَ فيه، فهذانِ شرحانِ لهذا الحديث.

فالعفَّة تحملُه على اجتنابِ الرَّذائلِ والقبائحِ مِن القول والفعل، وتحملُه على الحياء، وهو رأسُ كلِّ خير، بلْ وتمنعُهُ مِن الفحشاء، والعفَّةُ تمنعُه مِن البخلِ والكذبِ والغيبةِ والنَّميمة.

---

[١] رواه مسلم.

[٢] رواه البخاري.

والعفَّةُ أيضًا فيها المروءة، أن يكونَ الإنسانُ عنده مروءة، يجتنبُ سفاسفَ الأخلاق، ليست أشياءَ محرَّمات، ولكنَّها سفاسفُ الأخلاق، فالعفَّةُ تجعلُه يتجنَّبُ هذه السَّفاسف.

أمَّا الرُّكنُ الثَّالثُ مِن أركان الأخلاق؛ فهو الشَّجاعة، والشَّجاعةُ تحملُهُ على عزَّةِ النَّفس، وهنا يجبُ أن ننبِّه تنبيهًا هامًّا: ليستِ الشَّجاعةُ أنَّك لا تخاف، لا، فإنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- جَبَلَ الإنسانَ على الخوف، لكنَّ الشَّجاعةَ أنَّك مع الخوفِ تُقْدِم، يعني: مع هذا الخوفِ الَّذي يكونُ في القلبِ تُقدِم، فهذهِ هي الشَّجاعة، فليستِ الشَّجاعةُ أنَّ الإنسانَ يكونُ متبلِّدَ الشُّعور، لا يشعرُ ولا يخاف، لا، وإنَّما موسى -عليه السلام- كليم الله؛ أوجسَ في نفسِهِ خيفةً وخاف، فهذا خوفٌ جبليٌّ جبل اللهُ -سبحانه وتعالى- عليه البشر، ولكنَّ الشَّجاعةَ أنَّك مع الخوفِ تُقدِمُ ولا تُحجِم.

فالشَّجاعةُ تحملُه على عزَّة النَّفسِ وإيثارِ معالي الأخلاق والشِّيَم، وعلى البذلِ والنَّدى الَّذي هو شجاعةُ النَّفسِ وقوَّتُها على إخراجِ المحبوبِ ومفارقته، اللهُ أكبر! وهذا أهمُّ شيء؛ أنَّ الشَّجاعةَ تحملُك على التَّضحية.

التَّضحيةُ بماذا؟ تضحِّي بكلِّ شيء، في سبيلِ ماذا؟ في سبيلِ إرضاءِ اللهِ -سبحانه وتعالى-، تضحِّي بنفسِكَ وأهلِكَ ومالِكَ وأرضِك، وتضحِّي براحتِكَ في سبيلِ ماذا؟ في سبيلِ أن ترضي اللهَ -سبحانه وتعالى- عنك، في سبيلِ أن يرضى اللهُ -سبحانه وتعالى- عنك ويُدخِلَك الجنَّةَ فقط؛ فهذهِ هي الشَّجاعة أنَّك في كلِّ لحظةٍ تكونُ مستعدًّا، مستعدًّا لماذا؟ مستعدًّا للتَّضحية، للتَّضحيةِ بماذا؟ للتَّضحيةِ بكلِّ شيء، في سبيلِ إرضاءِ اللهِ -سبحانه وتعالى-.

كذلك الشَّجاعةُ تحملُه على كظمِ الغيظِ والحلم؛ فإنَّه بقوَّةِ نفسِهِ وشجاعتِهَا يُمسِكُ عنانها، ويكبحُهَا بلجامِها عنِ النَّزغِ والبطش، كما قال النبيُّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا- لا تنسَ الصَّلاةَ على النبيِّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-؛ فإنَّ البخيلَ هو الَّذي يُذكَرُ عندَهُ رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه

وسلم- ولا يصلِّي عليه، قال -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)[١]، فليسَ الشَّديدُ عند المصارعةِ يصرعُ غيرَه، ليسَ هذا هو الشَّديد، وإنَّما الشَّديدُ هو الَّذي يملكُ نفسَهُ عند الغضب.

لم يقلْ رسولُ الله ﷺ: "إنَّه لمْ يغضب"، لا، فالَّذي لا يغضبُ لا يشعر، ولكنَّه عندما يغضبُ يملكُ نفسَه، وهو حقيقةُ الشَّجاعة، وهي ملكةٌ يقتدرُ بها العبدُ على قهرِ خصمِه، نعم.

ولذلكَ رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقولُ في الحديث: (وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً)[٢]، يعني: حينما يَعْفُو يزيدُهُ اللهُ -سبحانه وتعالى- عزًّا، لماذا؟ لأنَّه تعالى عنْ سفاسفِ نفسِه، واستطاعَ بفضل الله -سبحانه وتعالى- أن يكبحَ نفسَه ويكبحَ لجامَها، فاستطاعَ بذلك أن يعفوَ، فلمَّا عفا؛ إذا به يزيدُهُ اللهُ -سبحانه وتعالى- عزًّا، ولمَّا عفا -والجزاءُ مِن جنسِ العمل- اللهُ -سبحانه وتعالى- يعفو عنه، {أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}؟! فاعفوا واصفحوا.

الرُّكْنُ الرَّابعُ مِن أركانِ الأخلاق: العدلُ، والعدلُ يحملُه على اعتدالِ أخلاقِه وتوسُّطِهِ فيها بينَ طرفَي الإفراطِ والتَّفريط، فيحملُهُ على خُلُقِ الجودِ والسَّخاء الَّذي هو توسُّطٌ بين الذُّلِّ والقحة، وعلى خُلُقِ الشَّجاعة الَّذي هو توسُّطٌ بينَ الجبنِ والتَّهوُّر، وعلى خُلُقِ الحلم الَّذي هو توسُّطٌ بينَ الغضبِ والمهانَةِ وسقوطِ النَّفس، فالعدلُ أن تقتصَّ مِن نفسِكَ كما تقتصُّ لها.

الله أكبر! مَا معنى هذا الكلام؟ أنتَ حينما يكونُ لك حقٌّ عند إنسان، مَاذا تفعل؟ تريدُ أن تأخذَ كلَّ هذا الحقِّ، فكذلك العدلُ، حينما يكونُ لإنسانٍ عندك حقٌّ؛ فاقتصَّ

---

[١] متفق عليه.

[٢] رواه مسلم.

من نفسِكَ لهذا الإنسانِ حتَّى يأخذَ حقَّه كاملًا منك أو مِن أخيك أو مِن أبيك أو مِن ابنك؛ حتَّى تكونَ عادلًا.

ولذلكَ منشأ جميعِ الأخلاقِ الفاضلةِ مِن هذه الأركان الأربعة: الصَّبرُ والعفَّةُ والشَّجاعةُ والعدلُ.

هذا، وصلَّى اللهُ على محمَّدٍ وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وجزاكُمُ اللهُ عنَّا خيرَ الجزاء، والسَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ الله وبركاتُهُ.

الحلقة الثالثة

الحمدُ للّهِ تعالى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

أحبَّتي في الله، ما زلنا مع حسنِ الخلقِ في سلسلتِنَا "البرُّ حسنُ الخُلُق"، نسألُ اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يرزقَنا وإيَّاكُمْ حسنَ الخُلُق.

بعد أن تكلَّمنا عنْ أركانِ الخُلُقِ الحسن؛ نتكلَّمُ اليومَ عنْ منشأ الأخلاقِ السَّافلة، لماذا؟ مِن بابِ قولِ حذيفةَ بنِ اليمانِ -رضي الله تعالى عنه- قال: "كانَ النَّاسُ يسألونَ رسولَ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- عنِ الخير، وكنتُ أسألُهُ عنِ الشَّر؛ مخافةَ أن يُدْرِكَني"، ولذلك قالَ القائل:

عرفتُ الشَّرَّ لا للشَّرِّ *** لكنْ لتوقِّيهِ
ومَن لا يعرفِ الشَّرَّ *** مِن الخيرِ يقعْ فيهِ

ولذلك نتكلَّمُ اليومَ عنْ منشأ الأخلاقِ السَّافلة.

أركانُ الأخلاقِ السَّافلةِ أو منشأ الأخلاقِ السَّافلةِ أربعة، أوَّلًا: الجهلُ، ثانيًا: الظُّلم، ثالثًا: الشَّهوةُ، رابعًا: الغضبُ.

أمَّا الجهلُ؛ فيُريهِ الحسنَ في صورةِ القبيح، والقبيحَ في صورةِ الحسن، الإنسانُ إذا كان جاهلًا يرى الشَّيَّءَ القبيحَ يراهُ حسنًا، ويرى الشَّيَّءَ الحسنَ يراهُ قبيحًا، لماذا؟ لجهلِهِ؛ فلأنَّهُ لا يعلمُ مَا هو الحسنُ وما هو القبيح، فينشأ عندهُ خللٌ في التَّصوُّر، هذا الخللُ يجعلُهُ يرى الأشياءَ القبيحةَ يراهَا حسنة، ويرى الأشياءَ الحسنةَ أشياءَ سيِّئة، وكذلك يرى الكمالَ نقصًا، والنَّقصَ كمالًا، هذا هو الرُّكنُ الأوَّلُ من أركانِ الأخلاقِ السَّيئةِ أو السَّافلة.



ثانيًا: الظُّلمُ

والظُّلمُ يحملُهُ على وضعِ الشَّيءِ في غيرِ موضِعِه، فيغضبُ في موضعِ الرِّضا، ويرضى في موضعِ الغضب، ويجهلُ في موضعِ الأناة، ويبخلُ في موضعِ البذل، ويبذُلُ في موضعِ البُخْل، ويُحْجِمُ في موضعِ الإقدام، ويُقدِمُ في موضعِ الإحجام، ويلينُ في موضعِ الشِّدَّة، ويشتدُّ في موضعِ اللِّين، ويتواضعُ في موضعِ العزَّة، ويتكبَّرُ في موضعِ التَّواضع، سبحان الله!

وكثيرًا ما نرى هذا، تجدُ رجلًا يدخلُ بيتًا فيسألُ عنِ الطَّعام، فتكونُ زوجتُهُ قد تأخَّرتْ في الطَّعام، فيستشيطُ غضبًا، يغضبُ عليها، وإذا سألها عنِ الصَّلاة، إنْ سألَهَا عنِ الصَّلاةِ فقالت: "إنَّها أخَّرتِ الصَّلاة"؛ فهو لا يغضبُ ويقولُ: "اللهُ غفورٌ رحيم"! فتجدُهُ يضعُ الغضبَ في موضعِ الرِّضا، والرِّضا في موضعِ الغضب!

فهذا ظلمٌ، يعني: مَا هو الأولى أن يَغْضَبَ فيه؟ حدودُ اللهِ -سبحانه وتعالى-، يجدُ ابنَهُ يتخلَّفُ عنِ الصَّلوات، يتخلَّفُ عنْ طاعةِ اللهِ -سبحانه وتعالى- ولا يغضبُ بزعمِهِ: "إنَّ اللهَ غفورٌ رحيم"، وتجدُهُ لحظوظِ نفسِهِ أوْ لأمرٍ مِن أمورِ الدُّنيا، تجدُهُ -والعياذ بالله- يغضبُ غضبًا شديدًا، فهذا ظلم.

تجدُ بعضَ النَّاسِ حينما يُتَطَلَّبُ منه أنْ يكونَ عزيزًا على الكفَّار؛ إذا به يكونُ ذليلًا للكفَّار، إذا يَتطلَّبُ منهُ الموقفُ أن يكونَ رحيمًا بالمؤمنين؛ يكونُ عزيزًا على المؤمنين؛ قال اللهُ -سبحانه وتعالى-: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [سورة المائدة: ٥٤]، {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [سورة الفتح: ٢٩]؛ ولذلك -أحبَّتي في الله- لا بدَّ أن يكونَ الإنسانُ عادلًا وليس ظالمًا.

ثالثًا: الشَّهوة

هذهِ الشَّهوةُ تحملُهُ على الحرصِ والشُّحِّ والبخل، وعدمِ العفَّةِ والنَّهمةِ والجشعِ والذُّلِّ والدناءاتِ كُلِّها، هذا الإنسانُ الشَّهوانيُّ تجدُهُ حريصًا، ليس حريصًا على أمرِ

دينِه، وإنَّما حريصٌ على أمرِ الدُّنيا، ويفعلُ المشاكلَ ويفعلُ كلَّ شيءٍ مِن أجلِ أن يَحصُلَ على شهوتِه، أمَّا الإنسانُ العفيفُ؛ فتجدُهُ عكسَ ذلك، لماذا؟ لأنَّه يتطلَّعُ إلى مَا فوقَ ذلك، إنَّهُ يتطلَّعُ إلى الجنَّة، فتجدُهُ يُضَحِّي بسفاسفِ الأمورِ وأسافلِها، لماذا؟ لأنَّ عندَهُ همَّةً عالية، هو لا يريدُ هذهِ الدُّنيا، وإنَّما هو يريدُ الجنَّة.

أمَّا صاحبُ الشَّهوة؛ فكثيرًا ما نسمعُ أنَّ أكبرَ بابٍ مِن أبوابِ جهنَّمَ هو الشَّهوة، أكثرُ ما يُدخِلُ الإنسانَ النَّارَ البطنُ والفرجُ! نسألُ اللهَ -سبحانه وتعالى- السَّلامةَ والعافية، فأمَّا صاحبُ الخُلُقِ الحسن؛ فعكسُ ذلك، تجدُهُ يتسامى، نعمْ يتسامى، لا ينظرُ إلى هذهِ الأشياء، وإنَّما يتسامى عنْ ذلك، لماذا؟ لأنَّ نفسَهُ زكيَّةٌ تتطلَّعُ إلى شيءٍ زكيٍّ عالٍ، ألا وهو الجنَّة.

رابعًا: الغضبُ

والغضبُ يحملُهُ على الكِبْرِ والحِقْدِ والحَسَدِ والعدوانِ والسَّفَه؛ لذلكَ الرَّجلُ لمَّا ذهبَ إلى النبيِّ ﷺ فطلبَ منهُ أن يوصيَه، فإذا بالنبيِّ ﷺ قالَ له: (لَا تَغْضَبْ)[١]؛ لأنَّ الإنسانَ كثيرَ الغضب، أوِ الَّذي لا يملكُ نفسَهُ عندَ الغضب؛ تجدُ هذا الإنسانَ أخلاقه سيِّئة، متى يظهرُ صاحبُ الخُلُقِ الحسنِ مِن صاحبِ الخلقِ السَّيِّئ؟ في الأوقاتِ العاديَّةِ لا تستطيعُ أن تميِّزَ بينَ صاحبِ الخُلُقِ الحسنِ وصاحبِ الخلقِ السَّيِّئ.

أمَّا عندَ الغضب؛ فتجدُ أنَّ الإنسانَ يظهرُ خلقُهُ الحقيقيُّ، حينما يكونُ غَضْبَانَ؛ تجدُ أنَّ هذا الإنسانَ يظهرُ خُلُقُهُ الحقيقيُّ.

نعمْ، هذهِ هي الأركانُ الأربعةُ للأخلاقِ السَّيئة، نسألُ اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يعافيَنا منها، وأن يرزقَنا الأخلاقَ الحسنة، وبمشيئةِ اللهِ تعالى؛ في المرَّةِ القادمةِ سنتكلَّمُ عنْ كيفَ نكتسبُ الأخلاقَ الحسنة، وكيفَ نتربَّى على هذهِ الأخلاق، نسألُ اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يرزقَنا الأخلاقَ الحسنة؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

---

[١] رواه البخاري.

هـذا، وصلَّى اللهُ على محمَّـدٍ وآلـه وصحبِهِ وسـلَّم تسـليمًا كثـيرًا، وجـزاكُمُ اللهُ خـيرًا، والسَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

الحلقة الرابعة

الحمدُ لله تعالى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

أحبَّتي في الله، اليومَ نتكلَّمُ بإذنِ الله: كيفَ نتعلَّمُ الأخلاقَ الحسنة، أو كيفَ نكتسبُ الأخلاقَ الحسنة؟

أخي الحبيب، الإنسانُ أحدُ الرَّجلين: إمَّا أنَّه جُبِلَ على الأخلاقِ الحسنة، وإمَّا أنَّه لم يُجْبَلْ على هذهِ الأخلاق، ولكنْ يستطيعُ بإذنِ اللهِ -سبحانه وتعالى- أن يكتسبَ هذهِ الأخلاق، نعم، كثيرٌ مِن الإخوةِ يشتكي أنَّه أخلاقُهُ سيِّئة، فهلْ يستطيعُ أن يربِّيَ نفسَهُ على الأخلاقِ الحسنة؟ أقولُ له: أخي، أبشرْ، ليسَ البُشْرى مِن عندي، وإنَّما مِن عندِ رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحُلُمَ بِالتَّحَلُّمِ[1]،[2] [...] وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ[3] -سبحانه وتعالى-)[4]، هذا كلُّه بشرياتٌ مِن النبيِّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-.

ولذلكَ أنتَ أحدُ رجلين: إمَّا أنَّ أخلاقَك حسنة؛ فاحمدِ اللهَ -سبحانه وتعالى-، وعليكَ أن تحافظَ على هذهِ الأخلاق، وتحاولَ أن تنمِّيَ هذهِ الأخلاقَ الحسنةَ عندك، وإمَّا أنَّك الرَّجلُ الآخر -نسألُ اللهَ سبحانه وتعالى لنا ولكَ العافية-؛ فأقولُ لك: أبشرْ؛ فتستطيعُ بإذنِ الله -سبحانه وتعالى- أن تربِّيَ نفسَكَ على الأخلاقِ الحسنة، كيف ذلك؟ عنْ طريقِ وصفةٍ أصفُها إليكَ مِن كتابِ اللهِ ومِن سنَّةِ رسولِ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-:

---

[1] رواه الطبراني في الأوسط، والدارقطني في العلل وأبو نعيم في الحلية. إسناده ضعيف، قال الهيثمي: فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو كذاب. وضعف الحافظ ابن أبي يزيد في التقريب.

[2] أضاف المتحدث و"الصبر بالتصبر" وهذا ليس بحديث ولم يروه أحد، فأزيل.

[3] رواه البخاري.

[4] هذا حديث مركب من حديثين لم يرو بهذا اللفظ عن أحد.



أوَّلًا: عليكَ أن تستعينَ باللهِ -سبحانه وتعالى-؛ اعلمْ -يا عبد الله- أنَّك لو حاولتَ أنْ تفعلَ أيَّ شيءٍ بغيرِ عونِ اللهِ -سبحانه وتعالى-؛ فلن تستطيع، نعم، لا بدَّ أن تفتقرَ إلى الله -سبحانه وتعالى-، لا بدَّ أن تعتقدَ أنَّه لا حولَ لك ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيم، فلا بدَّ أن تستعينَ بالله -سبحانه وتعالى-.

ثانيًا: صدقُ اللُّجوءِ إلى الله، نعم، سلِ اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يرزقَك الأخلاقَ الحسنة، نعم، أيُّ شيءٍ تريدُهُ يجبُ عليك أن تسألَ اللهَ -سبحانه وتعالى- هذا الشَّيء، في ثلثِ اللَّيلِ الآخرِ قمْ وسلِ اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يرزقَك الأخلاقَ الحسنة، فاصدقِ اللهَ -سبحانه وتعالى- في ذلك، كما قالَ النبيُّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- للرَّجل: (أُصدُقِ اللهَ يَصدُقْك)[1]، فكنْ صادقًا مع اللهِ -سبحانه وتعالى- أنَّك تريدُ الأخلاقَ الحسنة، لا لكي يمدحَكَ النَّاسُ لا، ولكنْ لكي يمدحَك اللهُ -سبحانه وتعالى-، لكي يحبَّك اللهُ -سبحانه وتعالى-، فتقومُ في ثلثِ اللَّيلِ الآخر وتتضرَّعُ إلى الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقَك الأخلاقَ الحسنة.

ثالثًا: عليك بسنَّة حبيبكَ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-؛ فإنَّه كان قرآنًا يمشي على الأرض، واللهُ -سبحانه وتعالى- مدح نبيَّنا -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- في كتابه وقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)} [سورة القلم]، الله أكبر! مدحَهُ اللهُ -سبحانه وتعالى- بالأخلاقِ الحسنة، ولم يقلِ اللهُ -سبحانه وتعالى-: "وإنَّ خُلُقَكَ عظيمٌ" لا، وإنَّما قال: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}، يعني: جُبِلَ النبيُّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- على الأخلاقِ العالية.

فيجبُ عليك أن تتأسَّى به -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، وأن تحاولَ أن تَكظِمَ طبعَك في مواقفَ تَحدُثُ معك، فتذكَّرْ مواقفَ شبيهةً حدثتْ مع رسولِ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ماذا فعلَ في هذهِ المواقف؟ حينما تَغضِبُ ويشتدُّ غضبُك؛ فانظرْ حينما كان يشتدُّ غضبُ رسولِ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-

---

[1] رواه النسائي وعبد الرزاق والطبراني بلفظ مقارب: "إن تَصدُقِ اللَّهَ يَصدُقْكَ".



ماذا كانَ يفعل؟ فلذلك عليك أن تتأسَّى برسولِ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- في كلِّ شيءٍ في كلِّ أفعاله؛ حتَّى تتعلَّمَ وتتربَّى على الأخلاقِ الحسنة.

أيضًا -أخي الحبيب-: عليكَ أن تصاحبَ رفقةً صالحة؛ فالمرءُ على دينِ خليله، إذا صاحبتَ رجلًا سويًّا حسنَ الخُلُق؛ فاعلمْ أنَّك ستكونُ مثلَه؛ لأنَّ الطِّباعَ سرَّاقة، أنتَ -وأنت لا تشعر- حينما تجلسُ مع رجلٍ حسنِ الخُلُق؛ فاعلمْ أنَّ طبعَك سيسرقُ مِن طبعه، وكذلكَ العكس: إذا صحبتَ رجلًا سيِّئَ الخُلُق؛ فكذلك طبعُك سيسرقُ مِن طبعه، فلا بدَّ أن تفهمَ هذا الأمرَ جيِّدًا.

الرَّجلُ الَّذي قتلَ تسعةً وتسعينَ نفسًا، حينما ذهبَ إلى العالمِ -في نهاية الحديث- فدلَّهُ العالمُ، ماذا دلَّه؟ قالَ له: (إنَّ قومَكَ قومُ سُوءٍ)[١]، وأمرهُ بالهجرةِ إلى أناسٍ صالحينَ يجلسُ بينهم، وهذا مِن تمامِ التَّوبة؛ أنْ تخرجَ مِن المجتمعِ السَّيئِ وتكونَ في مجتمعٍ صالح، فحينما تصاحبُ رجلًا حسنَ الخُلُق؛ فهذا يجعلُ أمرَ تربيةِ النَّفسِ أمرًا يسيرًا، فعليك أن تصاحبَ الأسوياء.

أيضًا: عليك أن تختارَ المكانَ الَّذي يُطبَّقُ فيه شرعُ الله -سبحانه وتعالى-؛ فالمكانُ الَّذي يُطبَّقُ فيه شرعُ الله -سبحانه وتعالى- مكانٌ مباركٌ تطمئنُّ فيه القلوب.

أيضًا -أخي الكريم-: عليك أن تلتزمَ كتابَ اللهِ -سبحانه وتعالى-؛ أن تكونَ مِن أهلِ القرآن؛ فالقرآنُ يهذِّبُ الأخلاق، فتكونَ مِن أهلِ القرآن قراءةً وتدبُّرًا وعلمًا وعملًا وتحاكمًا وتداويًا، تكونُ مِن أهلِ القرآن، فهذا يجعلُ خُلُقَكَ رقيقًا، فعليك أن تتعلَّمَ هذهِ الأشياءَ حتَّى يُيسِّرَ اللهُ -سبحانه وتعالى- لك الخُلُقَ الحسن.

وأيضًا: عليكَ أن تكتسبَ هذا الخُلُق، مثلًا: إنسانٌ ليسَ عندَهُ حلمٌ ماذا يفعلُ؟ يتحلَّمُ، نعمْ يتحلَّم، النبيُّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا- حينما أمرنا عندَ قراءةِ القرآن؛ أمرنا بالبكاء، طيِّب، إنْ لم نستطعْ أن نبكيَ ماذا نفعلُ؟ قال:

---

[١] لم يرو بهذا اللفظ عن أحد، وروي بنحوه عن البخاري ومسلم وأحمد: "وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوْءٍ".

(فَتَبَاكَوْا)[٢]، كذلكَ أنا أقولُ لك: إنْ لم تستطعْ أن تصبرَ فصَبِّرْ نفسَك، إن لم تستطعْ أن تكونَ حليمًا فعليكَ بالتحلُّم.

كلُّ صفةٍ مِن الصِّفاتِ ليستْ موجودةً فيك -وبمشيئةِ اللهِ سبحانه وتعالى سنأتي على صفةٍ صفةٍ مِن صفاتِ الخُلُقِ الحسن-؛ فكلُّ صفةٍ مِن هذهِ الصِّفاتِ ليستْ موجودةً فيك؛ فعليك أن تحملَ نفسَك عليها حملًا، حتَّى تكونَ طبيعةً وجِبِلَّةً في النَّفس، حتَّى تصبحَ ملكة.

إنسانٌ ليس عندَهُ حلمٌ، فهذا الإنسانُ الَّذي ليسَ عندَهُ حلم، حينما يُجبِرُ نفسَهُ على التحلُّم مرَّةً وراءَ مرَّة؛ إذا به مع الوقتِ يكسبُهُ اللهُ -سبحانه وتعالى- الحلمَ، كما قالَ الإمامُ الماَوَرْدِيُّ -رحمه الله-: "اتِّباعُ الدِّينِ والرُّجوعُ إلى اللهِ -عز وجل- في ندبِه وآدابِه، فيُقْهِرُ نفسَه على مذموم خُلُقِها، وينقلُها عنْ لئيمِ طبعِها، وإنْ كانَ نقلُ الطِّباعِ عسيرًا، لكنْ بالرِّياضةِ والتَّدرُّجِ يَسهُلُ منها مَا استُصعِب، ويُحبَّبُ منها مَا أتعب، غير أنَّه إذا عانى تهذيبَ نفسِه؛ تظاهرَ بالتَّخلُّقِ دون الخُلُق، ثمَّ بالعادةِ يصيرُ كالخُلُق".

أيضًا -أحبَّتي في الله-: معرفةُ الأحكامِ الشَّرعيَّةِ في المعاملاتِ وأحكامِ الأخلاق، واستحضارُ وجوبِ الواجبِ وحرمةِ الحرام؛ فإنَّ هذا هو الوسيلةُ الأهمُّ في هذا الموضوع، كما أنَّ التَّدريبَ العمليَّ والرِّياضةَ النَّفسيَّةَ مهمٌّ جدًّا في مسألةِ اكتسابِ الخُلُقِ الحسن.

أيضًا: اختيارُ بيئةٍ صالحةٍ يعيشُ فيها الإنسان، هذا أيضًا يساعدُهُ، أيضًا: أن يقتديَ الإنسانُ بقدوةٍ حسنة، وليسَ هناكَ قدوةٌ خيرٌ مِن النَّبيِّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، أيضًا: الضَّغطُ الاجتماعيُّ مِن قِبَلِ المجتمعِ المسلم، وأيضًا: سلطانُ الدَّولةِ المسلمة.

كما أنَّ التعرُّفَ على القواعدِ الأخلاقيَّة، وعلى أهميَّةِ الأخلاقِ الفاضلة، وعلى أهميَّة تحصيلِها ووسائلِها والتَّعريفِ بها؛ مِن أهمِّ الأسبابِ المعينةِ على اكتسابِ الخُلُقِ

---

[٢] رواه ابن ماجه وأبو يعلى والبيهقي. قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف أبي رافع. وقال الحافظ العراقي: إسناده جيد.



الحسن، والتعرُّضُ لتربيةِ المربِّين، وقبولُ مَا عندهُمْ مِن الخيرِ ومكارمِ الأخلاق يساعدُ الإنسانَ على ذلك.

وأخيرًا: ننصحُك أن تتَّخذَ أخًا صالحًا ناصحًا متحلِّمًا بالأخلاقِ الحميدة، يُنبِّهُ المرءَ على أخطائه في السُّلوكِ والخُلُق، ويساعدُهُ على إصلاحِ نفسه.

هذا، وصلَّى اللهُ على محمَّد وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وجزاكُمُ اللهُ عنَّا خيرَ الجزاء.

الحلقة الخامسة

الحمدُ لله تعالى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

أحبَّتي في الله، هذا هو اللِّقاءُ الخامسُ في سلسلتِنا "البرُّ حُسْنُ الخُلُق"، نسألُ اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يرزقَنا وإيَّاكم حسنَ الخلق، ولقاؤنا اليومَ بعنوان: أقسام الأخلاق.

الأخلاقُ نستطيعُ أن نقسِّمَها بعدَّةِ اعتبارات، فنستطيعُ أن نقسِّمَها باعتبارِ الأخلاقِ الحسنةِ والأخلاقِ السَّيئة، فتكونُ بذلك قسمَين، كما يمكنُ تقسيمُها بحسبِ متعلَّقِها إلى أخلاقِ الإنسانِ مع الله، وأخلاقِ الإنسانِ مع النَّاس، وأخلاقِ الإنسانِ مع نفسِه، ثمَّ أخلاقِه مع سائرِ المخلوقات.

فالأخلاقُ -كما نرى- ليستْ مقتصرةً على معاملةِ الخلق، أتعجَّبُ حينما أسمعُ حديثَ رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- حينما عَلِمَ أنَّ رجلًا يُعذَّب، فلمَّا سُئِلَ عنْ ذلكَ فقال: (وَمَرَرْتَ بِمَظلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ)[1]، أو (ومرَّ بمظلومٍ فلم ينصرْهُ)، سبحان الله! كثيرٌ مِن النَّاس حينما يسمعُ هذا الحديثَ يتبادرُ إلى ذهنِه أنَّ المظلومَ إنسان، سبحان الله! ليس شرطًا أن يكونَ إنسانًا، يمكنُ أن يكونَ هرَّةً مررتَ عليها وأطفالٌ يعذِّبونَها فلم تنصرْهَا وهي مظلومة، فيعاقبَك اللهُ -سبحانه وتعالى- بذلك.

نعمْ، فالأخلاقُ ليستْ فقط مع البشر، وإنَّما أخلاقٌ مع الله، وأخلاقٌ مع البشر، بل وأخلاقُكَ مع نفسِك، بل وأخلاقُك مع سائرِ المخلوقات، فهي تشتملُ معاملةَ النَّفسِ ومعاملةَ الخلقِ ومعاملةَ الخالقِ -سبحانه وتعالى-؛ وإذا استعملَ الإنسانُ الأدبَ والمعاملةَ الحميدةَ المتعيِّنةَ عليه تجاهَ ربِّهِ -سبحانه وتعالى- وتجاهَ النَّاسِ وتجاهَ نفسِه

---

[1] رواه الطحاوي في مشكل الآثار، ورجاله ثقات غير عاصم هو ابن أبي النجود وهو صدوق له أوهام، حجة في القراءة، وحديثه في الصحيحين، كما في التقريب. ورواه ابن عدي في الكامل من طريق يحيى بن هشام، وأنكره، وتبعه ابنُ القيسراني، قال ابن حجر في لسان الميزان عن يحيى بن هشام أحد رواة الحديث: كذبه ابن معين. وقال النسائي وغيره: متروك. وقال ابن عدي: كان ببغداد يضع الحديث ويسرقه (إسناده ضعيف).

وتجـاهَ سـائرِ المخلوقـات؛ فإنَّـه يصـيرُ بـذلك صـاحبَ أخلاقٍ حميـدة، فـإذًا ليس بين الإنسـانِ وبين مكارمِ الأخلاقِ إلَّا التَّعـرفُ على مـا يلزمُـهُ مِن معاملـةٍ مـع اللهِ -سـبحانه وتعالى- ثمَّ مع النَّاس ثمَّ مع نفسِه ثمَّ مع سائرِ المخلوقات، ثمَّ بعد ذلك يلتزمُ ويطبِّق.

تعالوا بنا -أحبَّتي في الله- نتكلَّم أوَّلًا عنِ المعاملةِ مع اللهِ -سبحانه وتعالى-: كيف يكونُ الإنسانُ عندَهُ حسنُ خلقٍ مع الله؟

أوَّلًا: الإيمانُ بالله -سبحانه وتعالى- إيمانًا جازمًا، ومَا هو محلُّ الإيمان؟ هل القلبُ فقط كما يدَّعي المرجئة؟ حينما تسألُ كثيرًا مِن النَّاس: أينَ الإيمان؟ أو ما هو محلُّ الإيمان؟ يشيرُ إلى قلبِه ويقولُ: "القلبُ"، نعمْ، أصلُ الإيمان في القلب، ولكنْ أجمعَ أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعمل، والقولُ قولان، والعملُ عملان: قولٌ باللِّسان، وقولٌ بالقلب، وعملٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، نعمْ، قولٌ باللِّسان، وأقلُّ شيءٍ حتَّى يكونَ الإنسانُ مسلمًا أن يشهدَ الشَّهادتين، وقولٌ بالقلبِ وعملٌ بالقلب، هناك القلبُ له وظيفتان: القولُ والعملُ.

وكثيرٌ مِن النَّاس، حتَّى كثيرٌ مِن طلبةِ العلم، لا يستطيعُ أن يفرِّقَ بين قولِ القلبِ وبين عملِ القلب؛ فقولُ القلبِ هو إقرارُه، فكلُّ مَا يقرُّهُ القلبُ هو قولٌ للقلب، أمَّا عملُ القلب؛ فهو مَا ينبعثُ مِن القلبِ، مثلَ التَّوكُّلِ والرَّجاءِ والخوفِ والإنابة.

فعلمُك أنَّ اللهَ حقٌّ، وإقرارُك بذلك هو قولٌ للقلب، أمَّا حبُّك لله؛ فهو عملٌ للقلب، إيمانُك أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- حقٌّ، هو قولٌ للقلب، أما حبُّك للنبيِّ وتوقيرُه؛ فهو عملٌ للقلب.

فأوَّلًا: يجبُ على الإنسانِ أن يؤمنَ باللهِ إيمانًا جازمًا، والإيمانُ -كما قلنا-: قولٌ باللِّسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح.

ثمَّ بعد ذلك توحيدُ الله -سبحانه وتعالى- في أسمائه وصفاته، وهذا جزءٌ مِن الإيمانِ بالله -سبحانه وتعالى-؛ لأنَّ الإيمانَ هو التَّوحيدُ، والتوحيدُ توحيدُ ربوبيَّة، وتوحيدُ ألوهيَّة، وتوحيدُ أسماءٍ وصفات.

أيضًا: يلزمُ عليك طاعةُ اللهِ -سبحانه وتعالى-، والحرصُ على أوامرِ اللهِ -سبحانه وتعالى-، وألَّا يراك اللهُ -سبحانه وتعالى- حيثُ نهاك، سواءٌ ذلك في الغيبِ أو الشَّهادة، وفي السِّرِّ أو العلن، وفي العسرِ واليسر، تكونُ مطيعًا لله -سبحانه وتعالى-؛ ولذلك مَن يدَّعي أنَّهُ يحبُّ اللهَ -سبحانه وتعالى- وهو يعصي الله؛ هذا قياسٌ شنيع.

تعصي الحبيبَ وأنتَ تزعمُ حبَّهُ *** هذا محالٌ في القياسِ شنيعُ
لو كانَ حبُّك صادقًا لأطعتَهُ *** إنَّ المحبَّ لمَن يحبُّ مطيعُ

فتزعمُ أنَّك تحبُّ الله -سبحانه وتعالى- وتعصيهِ ولا تتَّبعُ أمرَه؟! فهذا لا يستقيمُ ولا ينبغي ولا يكون.

أيضًا: عليك تعظيمُ شعائرِ اللهِ -سبحانه وتعالى- وتعظيمُ حرماتِ اللهِ -سبحانه وتعالى-، وعليكَ أن تخضعَ لشرعِه -سبحانه وتعالى-، هذا كلُّه مِن الأدبِ مع اللهِ -سبحانه وتعالى-.

أيضًا: أنْ تحترمَ كتابَ اللهِ -سبحانه وتعالى- وتعظِّمَهُ، وتعظِّمَ سنَّةَ نبيِّهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، وأنْ تتأدَّبَ مع الكتابِ والسُّنَّة، وتسلِّمَ لهما مِن غيرِ غلوٍّ ولا تفريط، لا في الفهمِ ولا في التَّطبيق.

أيضًا: عليكَ بالعنايةِ بدينِ الله -سبحانه وتعالى- فهمًا وإيمانًا والتزامًا وعملًا.

أيضًا: عليكَ أن تُجِلَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- وتُنزِّهَهُ عنْ كلِّ نقص، وتصفَهُ -سبحانه وتعالى- بما وصفَ به نفسَهُ وفقَ مَا جاءَ به كتابُهُ وسنَّةُ نبيِّه -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-.



واعتقـاد ذلـك اعتقـادًا جازمًـا؛ ولـذلك قاعـدةُ أهـلِ السُّـنة والجماعـة في الأسـماءِ والصِّـفات: نُثبِتُ مَـا أثبتَـهُ اللهُ -سـبحانه وتعـالى- لنفسـه، أو أثبتَـهُ لـه رسـولُه -صـلى الله عليـه وآلـه وصحبه وسـلَّم تسـليمًا كثـيرًا- مِن غـيرِ تكـييفٍ ولا تعطيـلٍ ولا تمثيـلٍ ولا تحريفٍ، نُثبِتُ الاسمَ أو الصِّفة، والكيفيَّة يعلمها اللهُ -سبحانه وتعالى-.

فنقول: لله يدٌ، كيف يدُ اللهِ -سبحانه وتعالى-؟ نقول: له يدٌ تليقُ به كما ينبغي لجلالِ وجهِهِ ولعظيمِ سلطانِه، لا نقولُ بقولِ المحرّفِينَ والمعطِّلين، فيقولـون: يدُ اللهِ هي نعمةُ الله، وليس لله يـدٌ حقيقيَّـة، يظنُّـونَ أنَّهم هكـذا يُـنزّهونَ اللهَ -سـبحانه وتعـالى- وهم بهـذا يُعطِّلونَ صفاتِ اللهِ -سبحانه وتعالى-.

أيضًـا مِن حُسْـنِ الخُلُـقِ مع اللهِ -سـبحانه وتعـالى-: الرِّضـا عنِ اللهِ -سـبحانه وتعـالى-، والرِّضا بقضائه وقَدَرِه، أن ترضى عنِ اللهِ -سبحانه وتعالى-، فتكونَ مِن الَّذينَ رضي اللهُ عنهُمْ ورضوا عنه.

أيضًـا: محبَّـةُ اللهِ -سـبحانه وتعـالى-، ومحبَّـة الله -سـبحانه وتعـالى- تسـتلزمُ خمسـةَ أشياء:

أوَّلًا: تحبُّ الله، ثانيًـا: يجبُ عليـك أن تحبَّ مَـا يحبُّـه الله، وتحبَّ مَن يحبُّهُمُ الله، وتبغضُ مَا يبغضُهُ الله، وتبغضُ مَن يبغضُهُمُ الله.

خمسةُ أشياءٍ حتَّى تحقِّقَ المحبَّة؛ أوَّلًا: أن تحبَّ الله -سبحانه وتعالى-، ثانيًا: تحبُّ مَن يحبُّهم الله: تحبُّ الصَّـالحين، تحبُّ الأنبيـاءَ والمرسـلين، تحبُّ المجاهـدين، وتبغضُ مَن يبغضُهم اللهُ -سبحانه وتعالى-: تبغضُ الكفَّار، تبغضُ المشركين، تبغضُ المرتدِّين.

أتعجَّبُ مِن عبَّاد الطَّـواغيت الَّـذين يـدَّعونَ السَّـلفيَّة، الَّـذين يـدَّعون أنَّهم مِن أهـلِ السُّـنة والجماعـة، عجيبٌ أمـرُهم! تجـدُ الواحـدَ منهُمْ حينمـا يتكلَّمُ عنْ شـركِ العبـادة؛ تظنُّ أنَّه مِن أهلِ السُّنة، ثمَّ بعد ذلك هـو يؤيِّدُ الطَّـواغيتَ ويدعو لهم! هـذا لا يستقيمُ

مع حبِّ اللهِ -سبحانه وتعالى- أبدًا، وهذا ما يُسَمَّى الولاءَ والبراءَ، فإذا أحببتَ اللهَ؛ يجبُ عليك أن تحبَّ مَن يحبُّهم الله، وتبغضَ مَن يبغضُهم الله -سبحانه وتعالى-.

وتحبُّ ما يحبُّه الله: تحبُّ الطَّاعات، تحبُّ القرآن، تحبُّ طاعةَ الله -سبحانه وتعالى-، تحبُّ أوامرَ الله -سبحانه وتعالى-، وتبغضُ ما يبغضُه الله -سبحانه وتعالى-: تبغضُ الشِّرك، تبغضُ الفسوق، تبغضُ الفجور، فرجلٌ يزعمُ أنَّه يحبُّ الله -سبحانه وتعالى-، ثمَّ بعد ذلك هو يحبُّ الفجورَ والسُّفور! هذا لا يستقيم.

أيضًا -أخي الحبيب- مِن حسنِ الخلقِ مع الله -سبحانه وتعالى-: دوامُ ذكرِ الله -سبحانه وتعالى-، ودوامُ شكرِ الله -سبحانه وتعالى-؛ فالله -سبحانه وتعالى- يحبُّ ذلك؛ فأنتَ كلُّ شيءٍ فيك منه -سبحانه وتعالى-، فلو شكرتَه فهذا مِن فضله أنَّه سمح لك أن تشكرَه، فهذا الشُّكرُ يحتاجُ منك إلى شكر، ولو ظللتَ ساجدًا لله -سبحانه وتعالى- إلى أن تموت؛ فلن توفِّيَ اللهَ -سبحانه وتعالى- حقَّه.

أيضًا مِن حسنِ الخلقِ مع الله -سبحانه وتعالى-: إحسانُ العبادة؛ فالله -سبحانه وتعالى- قال: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [سورة الملك: ٢]، لم يقل: "ليبلوَكُمْ أيُّكُمْ أكثرُ عملًا"، فالعبرةُ ليستْ بالكثرة، فيجبُ عليك أن تُحسِنَ العمل، فهذا عملٌ تقدِّمُه لله -سبحانه وتعالى-، فلا بدَّ عليك أن تُحسِّنَ هذا العمل: تُخلِصُ النيَّةَ فيه، وتجعلُه على هدي نبيِّك -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، وتجتهدُ أن يخرجَ في أكملِ صورة.

لا تُلْقِهِ هكذا! بعضُ النَّاسِ إذا دخل في الصَّلاةِ -مثلًا-: تجدُه يُلقِي الصَّلاةَ هكذا، يريدُ أن ينتهيَ مِن هذا الواجبِ الَّذي عليه لا، هذا عملٌ تقدِّمُه لمن؟ تقدِّمُه لحبيبِك الله -سبحانه وتعالى-، فيجبُ عليك أن تُحسِّنَ هذا العمل حتَّى تقدِّمَه لله -سبحانه وتعالى-، فيتقبَّله اللهُ -سبحانه وتعالى-.

أيضًا مِن حسنِ الخُلُقِ مع الله -سبحانه وتعالى-: الإحسانُ إلى عبادِ الله -سبحانه وتعالى- نعم، فتُنْزِلُهُمْ منازلَهم، تُنْزِلُ الصَّالحينَ منازلَهم، نحسبُهم واللهُ حسيبُهُمْ، تُنزِلُ المجاهدينَ كذلك، نحسبُهم والله حسيبُهم، ولا تظلمُ أحدًا مِن عبادِ الله -سبحانه وتعالى-، ولا تعتدي على أحدٍ مِن عباد الله -سبحانه وتعالى-.

وأخيرًا؛ مِن حسن الخُلُق مع الله -سبحانه وتعالى-: إحسانُ الظَّنِّ به -سبحانه وتعالى-؛ فهو القائل: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)[1]، فما هو ظنُّك بالله -سبحانه وتعالى-؟ واعلمْ -يا عبد الله- أنَّك لن تستطيعَ أن تُحسِنَ الظَّنَّ في الله إلَّا بعد أن تُحسِنَ العمل، فحينما قيل لبعض السَّلف: إنَّ بعضَ النَّاس يُسيئونَ في العمل، ويُفرِّطونَ في العبادات، ويدَّعونَ أنَّهم يُحسِنونَ الظَّنَّ في الله -سبحانه وتعالى-؛ قال: "كذبوا؛ لو أحسنوا الظَّن، لأحسنوا العمل".

وبهذا -أحبَّتي في الله- نكونُ قد انتهينا مِن القسمِ الأوَّلِ مِن أقسامِ الأخلاق، وهو أخلاقُك مع اللهِ -سبحانه وتعالى-، ووالله، ما وفَّيناها حقَّها، فيجبُ على الإنسانِ أن يعيشَ لله -سبحانه وتعالى-، وأن يُضحِّيَ بكلِّ شيءٍ لله -سبحانه وتعالى-؛ حتَّى يرضى عنه اللهُ -سبحانه وتعالى-.

هذا، وصلَّى اللهُ على محمَّد وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وجزاكُمُ الله عنَّا خيرَ الجزاء.

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

الحلقة السادسة

الحمدُ لله تعالى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

أحبَّتي في الله، ما زلنا مع سلسلتِنا "البرُّ حُسْنُ الخُلُق"، نسألُ اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يرزقَنا وإيَّاكُمْ حسنَ الخلق.

بعدَ أنْ تكلَّمنا عنْ أخلاقِ الإنسانِ مع ربِّه -سبحانه وتعالى-؛ نتكلَّمُ اليومَ عنْ معاملةِ الإنسانِ للنَّاس، حتَّى يكونَ الإنسانُ حَسَنَ الخُلُق مع النَّاس؛ لا بدَّ أن تكونَ علاقتُهُ بِهِمْ قائمةً على أساسِ علاقتِهِ مع اللهِ -سبحانه وتعالى-، فتكونَ علاقتُهُ بِهِمْ لله -سبحانه وتعالى-، ما معنى هذا الكلام؟

معنى هذا الكلام: ألَّا يعاملَ النَّاسَ على سبيلِ الجزاء؛ النبيُّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- حينما تكلَّم عنْ صلةِ الرَّحمِ قال: (لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا)[١].

يعني: أنا لي أقارب "أرحام"، هؤلاءِ الأرحامُ يقطعونَ أرحامي، فيكونُ الجزاءُ أنَّني أقطعُ أرحامَهُمْ؟ لا، وكذلك العكسُ: إنسانٌ له أقارب "أرحام"، يصلونَ رحمَه، فيصلُهُمْ لأنَّهُمْ يصلونَه؟ هذا خطأ، وإنَّما يجبُ أن يصلَ أرحامَهُ لله -سبحانه وتعالى- وحدَهُ لا شريكَ له، فتكونَ علاقتُهُ مع النَّاس مبنيةً على رضا الله -سبحانه وتعالى-، يرضي اللهَ -سبحانه وتعالى- في أنَّه يصلُ أرحامَهُ مثلًا.

---

[١] رواه البخاري.



فكذلك -أخي الحبيب- لا بدَّ أن تكونَ علاقتُك مع النَّاسِ مبنيةً على رضا الله -سبحانه وتعالى-، ليس أنْ تكافِئَهُم، وليسَ أنْ تجازِيَهُمْ؛ النبيُّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يخبِرُنا أنَّه لا يؤمنُ الإنسانُ (حتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[٢].

أيضًا: أنْ تكونَ علاقتُهُ بالنَّاسِ محكومةً بشرعِ الله -سبحانه وتعالى- ومَا أوجبَهُ اللهُ -سبحانه وتعالى- على عبادِهِ بشأنِ العلاقةِ فيما بينَهُمْ، نعمْ، إنسانٌ يتعاملُ مع النَّاسِ جيِّدًا لأنَّه يحبُّهم، لا لأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- أمره بذلك، وعلى النَّقيضِ: إنسانٌ يتعاملُ مع النَّاسِ بالسَّيِّء، لا لأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- أمره بذلك، ولكنْ لأنَّه يبغضُهُمْ، لا.

الولاءُ والبراءُ يحكُمُ عليك أنَّ هناكَ أناسًا حتَّى ولو كنتَ بداخلِك لا تستطيعُ أن تعاملَهُمْ بسببِ العلاقة؛ فلا بدَّ عليك أن تعاملَهُمْ لله؛ فالولاءُ والبراءُ يحكمُ عليك أنَّ بعضَ النَّاس يجبُ عليك أن تحبَّهم لله، بل ويفرضُ اللهُ -سبحانه وتعالى- عليك أن تحبَّهُمْ ولو آذوك، والولاءُ والبراءُ يفرضُ عليك أن تبغضَ أُناسًا حتَّى ولو كانوا أقربَ المقرَّبينَ إليك، حتَّى ولو كان أباك!

انظرْ إلى هذا الحديثِ الَّذي رواه الإمامُ البخاريُّ في صحيحه؛ في قصَّةِ إبراهيمَ -عليه السلام- حينما يأتي يومَ القيامةِ فيريدُ أن يشفعَ لأبيه فيقول: ربِّي، ألم تَعِدْنِي أَلَّا تُخْزِيَنِي يومَ يُبعَثُونَ؟ فيقول: بلى، فيقولُ: وأيُّ خزيٍ أكثرَ مِن أبي الأبعد؟! وأيُّ خزيٍ أن يكونَ الإنسانُ في الجنَّةِ وأبوه في جهنَّم؟! أي خزيٍ أكثر من هذا؟!

فلمَّا أراد إبراهيمُ -عليه السلام- أن يشفعَ لأبيه؛ مُنِعَ مِن ذلك، بلْ وقيلَ له: انظرْ خلفَك أو تحتَك، فلمَّا نظر؛ فإذا بِذِيخٍ متلطِّخ! الذِّيخُ هو: الضَّبع، الضَّبعُ: حيوانٌ كريهُ المنظر! اللهُ -سبحانه وتعالى- صوَّر له أباه في صورتِهِ الحقيقيَّة، صورة الكفر: ضبعٌ متلطِّخٌ دمًا!

---
٢ رواه البخاري.

فقال له: انظرْ تحتَك أو خلفَك؛ فإذا بذيخٍ متلطِّخ، فأُخِذَ بقوائمِهِ الأربع، فأُلقِيَ في جهنَّم، ومع ذلكَ رغمَ أنَّه مِن أهلِ النَّار؛ أمرهُ اللهُ -سبحانه وتعالى- أن يُحسِنَ إليه في الدُّنيا.

فلذلك -أخي الحبيب- علاقتُك مع النَّاس لا بدَّ أن تكونَ محكومةً بشرعِ الله -سبحانه وتعالى-، فلا تعامل النَّاسَ جيّدًا مِن أجلِ مصلحة، ولا تعامل النَّاسَ جيّدًا مِن أجلِ أنَّهُمْ يعاملونك معاملةً جيِّدة، ولا تعامل النَّاسَ جيدًا لأنَّك تحبُّهم، وإنَّما يجبُ عليك أن تعاملَ النَّاسَ معاملةً جيِّدةً، لماذا؟ لأنَّ الله -سبحانه وتعالى- أمرك بذلك، وبعض النَّاسِ أمركَ اللهُ -سبحانه وتعالى- ألَّا تعاملَهُمْ معاملةً جيّدة، بل تُغْلِظُ عليهِمْ، وهم المنافقونَ والكفَّارُ والمشركون، أمرك اللهُ -سبحانه وتعالى- أن تُغْلِظَ عليهِمْ ولو كانوا أقربَ المقرَّبِينَ إليك.

فهذهِ أصولُ المعاملةِ مع النَّاس لكي يكونَ خُلقُكَ حسنًا مع سائرِ النَّاس.

هذا، وصلَّى اللهُ على محمَّد وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

الحلقة السابعة

الحمدُ لله تعالى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

إخواني، اليومَ بإذنِ الله -سبحانه وتعالى- نتكلَّمُ عنْ أخلاقِ الإنسانِ مع نفسِه، والإنسانُ مع نفسِهِ يجبُ عليه عدَّةُ أشياء:

أوَّلًا: يجبُ عليه أن يُعبِّدَ نفسَهُ لله -سبحانه وتعالى-؛ أنْ يكونَ عبدًا لله -سبحانه وتعالى-، وأصلُ كلمةِ العبوديَّةِ مِن التَّذلُّل، يُقَالُ: طريقٌ مُعبَّدٌ، أي: مُذَلَّلٌ، فالإنسانُ يجبُ عليه أن يجعلَ نفسَهُ عبدًا ذليلًا لربِّه -سبحانه وتعالى-، والعبدُ مع مولاهُ لا ينبغي له إلَّا أنْ يسمعَ ويطيع.

وهذا هو الفرقُ بينَ أمَّتِنَا وبينَ بني إسرائيل؛ فبنو إسرائيلَ ماذا قالوا؟ قالوا: {سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}، أمَّا أمَّةُ محمَّد -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا-؛ فقالوا: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}؛ ولذلك يجبُ أن يكونَ الإنسانُ مع نفسِهِ عبدًا، والعبدُ مَا عليه إلَّا أن يسمعَ ويطيع.

كذلك يجبُ عليه أن يُقِيمَ نفسَهُ على شرعِ الله -سبحانه وتعالى-، فيجبُ على الإنسانِ أن يُعوِّدَ نفسَهُ على طاعةِ الله -سبحانه وتعالى-، يُجبِرُ نفسَهُ على طاعةِ الله -سبحانه وتعالى-؛ حتَّى تصبحَ العبادةُ خُلُقًا لهذهِ النَّفس؛ فالنَّفسُ أمَّارةٌ بالسُّوءِ كسولة، والعباداتُ فيها كلفةٌ ومشقَّة، فلا بدَّ أن يُعبِّدَ نفسَهُ لله -سبحانه وتعالى-؛ أنْ يُقِيمَ على شرعِ الله -سبحانه وتعالى-.

مثلًا: النَّفسُ تحبُّ النَّوم، والله -سبحانه وتعالى- يأمرُها بقيامِ اللَّيلِ أو بالقيامِ لصلاةِ الفجر، فالإنسانُ يُجبِرُ نفسَهُ على ذلكَ حتَّى تصبحَ العبادةُ خِلْقَةً وجِبِلَّةً في النَّفس، فيصبحَ الإنسانُ بعد فترةٍ بعدَ أنْ كانَ يحملُ نفسَهُ حملًا على صلاةِ الفجر، ويحملُ

نفسَهُ حملًا على قيامِ اللَّيل؛ يصبحُ لا يستطيعُ أن ينامَ ليلةً بغيرِ قيامِ اللَّيل، كما قالَ بعضُ السَّلف: "جاهدتُّ نفسي على قيامِ اللَّيلِ عشرينَ سنة، واستمتعتُ به عشرينَ سنة".

أيضًا -أحبَّتي في الله-: لا بدَّ أنْ تُلزِمَ نفسَك بإخلاصِ العملِ لله -سبحانه وتعالى- وحدَهُ لا شريكَ له؛ فالنَّفسُ أحيانًا يوسوسُ لها الشَّيطان، بلْ وأحيانًا النَّفسُ تدعو إلى المراءاةِ وحبِّ الظُّهورِ وحبِّ المدح، فيعملُ مِن أجلِ أنْ يُمْدَحَ -نعوذُ بالله مِنَ الخذلان-، فهذا يُضيِّعُ نفسَهُ ويُضيِّعُ عملَه؛ فالعملُ بعد أن يكونَ سببًا لدخولِ الجنَّة، فيكون نفسُ هذا العملِ سببًا -والعياذ بالله- في دخولِ جهنَّم! فالإنسانُ يُلزِمُ نفسَهُ بإخلاصِ العملِ لله -سبحانه وتعالى- على كلِّ حال.

أيضًا -أحبَّتي في الله-: يجبُ عليكَ أن تُلزِمَ نفسَك بالرِّضا عنِ الله -سبحانه وتعالى-، ترضى باللهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّد -صلى الله عليه وآله وصحبِه وسلم- نبيًّا، ترضى بالله ربًّا: ترضى بشرعِ الله -سبحانه وتعالى- وبقَدَرِه، لا تُعارِضُ أمرَ الله -سبحانه وتعالى-، سواءً كان أمرًا قدريًّا أو أمرًا شرعيًّا، فقضاءُ الله -سبحانه وتعالى- حينما ينزل بك؛ يجبُ عليك أن تكونَ راضيًا به، كذلكَ أمرُ الله -سبحانه وتعالى- الشَّرعيُّ إذا أتاك؛ فيجبُ عليك أن تكونَ راضيًا عنْ هذا الأمر.

أيضًا: عليكَ أن تُلزِمَ نفسَك بالأدبِ مع الله -سبحانه وتعالى-، وهذا تكلَّمنا عنهُ باستفاضةٍ فيما مضى.

أيضا: عليكَ بالبعدِ عنْ ظلمِ نفسِكَ بشيءٍ مِن أنواعِ الظُّلم، سواء بأكبرِ الظُّلم أو أعظمِ الظُّلم، أيضًا: عليكَ أن تبعدَ عنْ كلِّ نوعٍ مِن أنواعِ الظُّلم، تُبعِدُ نفسَك عنِ الظُّلم، الشِّركُ الأكبر.

أيضًا: عليكَ أن تبتعدَ عنِ المعاصي وصغائرِ الذُّنوب؛ فهي أيضًا مِنْ أنواعِ الظُّلم، وسواءً كانَ ذلك بإتباعِها هواهَا على خلافِ الشَّرعِ وحدودِ الاستقامة، أو بمنعِها مِن

حظوظِها الدُّنيويَّة المأذونِ فيها شرعًا أو الواجبةِ شرعًا؛ لأنَّ بعضَ النَّاسِ أحيانًا يجعلُ نفسَه تبعَ هواها، سواءً كانَ في طاعةِ اللهِ أو في معصيةِ الله، فاحذرْ مِن ذلكَ؛ فهذا ظلمٌ.

وبعضُ النَّاسِ يمنعُ نفسَهُ مِن حظوظِ الدُّنيا الَّتي أَذِنَ اللهُ -سبحانه وتعالى- فيها، فيظنُّ أنَّه بذلك يتقرَّبُ إلى الله -سبحانه وتعالى- كما فعلَ حديثُ النَّفرِ الَّذينَ سألوا عنْ عبادةِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وآله وصحبِهِ وسلم- فكأنَّهُمْ تقالُّوها، فماذا فعلوا؟ قال بعضُهُمْ: أمَّا أنا فأقومُ ولا أنام، وقالَ الآخر: وأمَّا أنا فأصومُ ولا أفطرُ، وقالَ الثَّالث: وأمَّا أنا فلا أتزوَّجُ النِّساء، فالنبيُّ ﷺ بمَ علَّقَ على هذهِ الأقوال؟ قال: (أمَّا أنا فأصومُ وأفطر، وأقومُ وأنام، وأتزوَّجُ النِّساء، فمَنْ رَغِبَ عنْ سنَّتي فليسَ منِّي)[١]، فهذا أيضًا نوعٌ مِن أنواعِ الظُّلم.

أيضًا مِن أنواعِ الظُّلم: أنْ يمنعَ نفسَهُ مِن الأخذِ بالفسحةِ الَّتي جعلها الله -سبحانه وتعالى- في ديننا.

أيضًا -أخي الحبيب-: إيَّاك أن تبيعَ نفسَك بثمنٍ أقلَّ مِن ثمنها، نفسُك غالية، اللهُ -سبحانه وتعالى- وضع لها ثمنًا غاليًا، ألا وهو الجنَّة، فاحذرْ أخي الحبيب، احذرْ أن تبيعَها بأقلَّ مِن الجنَّة ولو كانتِ الدُّنيا بأسرِها، احذرْ فهذا مِن أعظمِ الذُّنوب، فهذا مِن أعظمِ الظُّلمِ لنفسك؛ أنْ تظلمَ نفسَك وتبيعَها بغيرِ ثمنِها؛ نفسُك غاليةٌ عندَ اللهِ -سبحانه وتعالى- فلا تَبِعْها بأقلَّ مِن ثمنِها، وبهذا يكونُ الإنسانُ خلقُهُ حسنًا مع نفسِه.

هذا، وصلَّى اللهُ على محمَّد وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وجزاكُمُ اللهُ عنَّا خيرَ الجزاء.

---

[١] رواه البخاري ومسلم.

الحلقة الثامنة

الحمدُ لله تعالى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

أحبَّتي في الله، ما زلنا مع سلسلتِنا "البرُّ حُسْنُ الخُلُق"، واليومَ بإذن الله -سبحانه وتعالى- نتكلَّم عنْ أصولِ التَّعاملِ مع مخلوقاتِ الله -سبحانه وتعالى-.

أخي الحبيب، حتَّى تكونَ حَسَنَ الخُلُق مع سائرِ المخلوقات؛ عليك أنْ تلتزمَ نحوَها بشرعِ الله -سبحانه وتعالى-، وعدمِ ظلمِ هذهِ المخلوقات، وما معنى الظُّلم مع المخلوقات؟

الظُّلمُ هو وضعُ الشَّيء في غير موضعِهِ معها؛ فاللهُ -سبحانه وتعالى- أمرك بذبحِ بعضِ المخلوقات، وأمرك بعدمِ قتلِ بعضِ المخلوقات، فإذا قتلتَ الَّذي نُهيتَ عنه؛ فهذا ظلمٌ، وإذا تركتَ الَّذي أُمِرْتَ بذبحه؛ فهذا ظلم، فالضَّابطُ في مسألةِ الظُّلم هو اتِّباعُ شرعِ الله -سبحانه وتعالى- أو مخالفةُ شرعِ الله -سبحانه وتعالى-.

أيضًا: يجبُ عليك أن تستثمرَ هذهِ المخلوقاتِ وتنتفعَ بها على وفقِ مَا أباحَهُ الله -سبحانه وتعالى- وشرعه، وعليك أنْ تبتعدَ عنِ التَّعدِّي في ذلك أو التَّقصير، أيضًا: عليك أنْ تتعرَّفَ على مَا شرعهُ اللهُ -سبحانه وتعالى- في التَّعاملِ مع هذهِ المخلوقاتِ بحسبِ مَا تدعو إليه حاجةُ التَّعاملِ معها.

أيضًا -أخي الحبيب-: عليكَ أنْ تستشعرَ أنَّ هذهِ المخلوقاتِ مخلوقةٌ لله -سبحانه وتعالى-، وهي مؤمنةٌ بالله -سبحانه وتعالى- موحِّدة، بلْ قد أخبرَ اللهُ -سبحانه وتعالى- أنَّ كلَّ شيءٍ يسبِّحُ بحمده؛ فقال اللهُ -سبحانه وتعالى-: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا

غَفُورًا (٤٤)} [سورة الإسراء]، وهذا يجعلُك تستشعرُ أنَّ هذهِ المخلوقاتِ عابدةٌ لله -سبحانه وتعالى-، فتتعاملُ معها على أساسِ هذا.

أيضًا: القاعدةُ العامَّةُ هي أنَّ جلَّ هذهِ المخلوقاتِ قد خلقَها الله -سبحانه وتعالى- للإنسانِ وسخَّرها له، يقولُ اللهُ -سبحانه وتعالى-: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [سورة البقرة: ٢٩]، فاللهُ -سبحانه وتعالى- خلق هذهِ المخلوقاتِ للإنسان، فعليك أنْ تستشعرَ هذا.

وأيضًا: عليك أنْ تعرفَ أنَّ هذا النَّوعَ مِن هذهِ المخلوقاتِ الَّتي سخَّرها الله -سبحانه وتعالى- لك؛ قد أباح اللهُ -سبحانه وتعالى- لك أنْ تنتفعَ منها على وفقِ المشروع، وجعلَ لك أنْ تدافعَ عنْ نفسِك، وتدفعَ عنْ نفسِكَ ضررَها؛ ولذلك -أخي الحبيب- نذكرُ مرَّةً أخرى الرَّجلَ الَّذي عُذِّبَ لأنَّهُ مرَّ بمظلومٍ فلم ينصرْهُ.

هذا المظلومُ لا يُشترَطُ أنْ يكونَ إنسانًا، يمكنُ أنَّه مرَّ على قطَّةٍ أو هرٍّ يلعبُ به الأطفالُ ويظلمونَه، فلم ينصرْهُ ولم يحرّرْهُ مِن أيديهم، فيُحاسَبُ بينَ يدي الله -سبحانه وتعالى-.

النَّمل؛ نهى النَّبيُّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- عنْ قتلِ النَّمل، فهذا النَّملُ لو أنَّك تركتَهُ لله؛ تخيَّلْ هذه النَّملةَ تُسبِّحُ؛ كمْ تسبيحةً في اليوم؟! وكمْ عددُ النَّمل؟! هذا الَّذي لو تركتَهُ كما أمرَ رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- لو تركتَ هذا النَّملَ يسبِّح؛ فيكونُ في ميزانِ حسناتِك، فهذا معنى عظيمٌ.

النبيُّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- أمر بقتلِ خمسِ دواب، ونهى عن قتلِ خمسِ دواب، فإنْ تركتَ المأمورَ بقتلِها؛ ظلمتَ وتعدَّيتَ وأسأتَ الخُلُق، وإنْ قتلتَ المأمورَ بعدمِ قتلِها؛ فقد أسأتَ الخُلُق معها، بلْ تكونُ قد خالفتَ أمرَ نبيِّك -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، وخالفتَ أمرَ الله -سبحانه وتعالى-.

فاحذرْ -أخي الكريم- أنْ يكونَ خُلُقُك حسنًا مع النَّاس، وخُلُقُك سيئًا مع اللهِ أو مع سائرِ المخلوقات.

هذا، وصلَّى اللهُ على محمَّد وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

الحلقة التاسعة

الحمدُ لله تعالى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

أحبَّتي في الله، اليومَ بإذن الله -سبحانه وتعالى- نتكلَّمُ عنْ نماذجَ مِن الأخلاق، طبعًا سنتكلَّمُ عنِ الأخلاقِ الحسنة، نماذج مِن الأخلاقِ الحسنة.

أوَّلُ خُلُقٍ سنتكلَّم عنه هو التَّوبة، نسألُ اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يرزقَنا وإيَّاكُمُ التَّوبةَ النَّصوح، فهذهِ بعضُ الأشياءِ الَّتي يجبُ أن يتحلَّى بها المسلم، فاللهُ -سبحانه وتعالى- يقول: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)} [سورة البقرة]، فالله -سبحانه وتعالى- يحبُّ التوَّابين، فإنْ أردتَّ أن يحبَّك اللهُ -سبحانه وتعالى-؛ فكنْ تائبًا يحبَّكَ اللهُ -سبحانه وتعالى-.

والتَّوبةُ لغةً هي: الرُّجوع، وشرعًا: تشتملُ على أربعةِ أشياء:

أوَّلًا: الإقلاعُ عنِ الذَّنب، ثانيًا: العزمُ على عدمِ العودة، ثالثًا: النَّدم، رابعًا: ردُّ المظالمِ إلى أهلِها والتحلُّلُ منها.

أربعةُ أشياءَ حتَّى تكونَ التَّوبةُ نصوحًا، وحتَّى يقبلَها اللهُ -سبحانه وتعالى-.

أوَّلًا: أن يُقلِعَ الإنسانُ عنِ الذَّنب، الإقلاعُ عنِ الذَّنبِ هو التَّركُ التَّامُّ للذَّنب، فإنْ أرادَ الإنسانُ أنْ يتوبَ مِن الذَّنب -وهو مقيمٌ على هذا الذَّنب-؛ فهو كمَن هو قائمٌ على امرأةٍ يزني بها ويقولُ: ربِّ اغفرْ لي! فيقولُ اللهُ -سبحانه وتعالى-: دعْها وأنا أغفرُ لك؛ ولذلك قالَ بعضُ السَّلف: "إنَّ بعضَ النَّاسِ استغفارُهُ يحتاجُ إلى استغفار!"، فاستغفارُهُ كاستغفارِ المستهزئ؛ فهو ينظرُ إلى المحرَّماتِ ويقولُ: أستغفرُ الله! فهذا الاستغفارُ يحتاجُ إلى استغفار، فلا بدَّ عند التَّوبةِ أن يُقلِعَ الإنسانُ إقلاعًا تامًّا عن



المعصية، حتَّى وإنْ عاد إليها بعدَ ذلك، ولكن لا بدَّ عند وقتِ التَّوبةِ أن يكونَ مقلعًا عنْ هذا الذَّنب.

ثانيًا: أنْ يعزِمَ على عدمِ العودةِ إلى هذا الذَّنب، ويأتي إليه الشَّيطانُ في هذا الوقتِ ويقول: أنتَ لن تستطيع! فيقولُ -يستعينُ بالله سبحانه وتعالى- ويقولُ: إنْ شاء الله؛ سوفَ أتركُ هذا الذَّنب، ويكونُ عندَهُ هِمَّةٌ وعزيمةٌ على تركِ هذا الذَّنب، ولو عادَ إلى نفسِ هذا الذَّنب؛ عليه أنْ يتوبَ مرَّة أخرى بِهمَّةٍ أقوى وأشدَّ، وإنْ عاد مئةَ مرَّةٍ كلَّ مرَّةٍ عليه أنْ يتوب، فإمَّا أن ييأسَ، وإمَّا أنْ ييأسَ منه الشَّيطان.

ثالثًا: عليهِ أن يندَمَ، يشعرُ بالذَّنب، ويشعرُ بالنَّدمِ على هذا الذَّنبِ الَّذي اقترفَهُ في حقِّ الله -سبحانه وتعالى-، وكمْ أخَّرهُ هذا الذَّنبُ عنِ التَّنافُسِ في طريقِ الوصولِ إلى رضا الله -سبحانه وتعالى-، إخوانُهُ سبقوهُ في طريقِ الرِّضا إلى الله -سبحانه وتعالى- وهو تأخَّرَ بسببِ هذا الذَّنب، فعليه أن يَندَمَ.

رابعًا: عليهِ أنْ يتحلَّلَ مِنَ المظالم، ويردَّ المظالمَ إلى أهلِها، إنْ كان أخذَ مالًا بغير وجه حقٍّ يُعيدُه، إنْ كان أكل ميراثًا؛ فعليه أن يُعِيدَ هذا الميراثَ، إنْ كان سبَّ؛ فعليه أن يتحلَّل مِن هذا السَّب، إنْ كان قد اغتاب؛ فعليه أن يتحلَّل مِن هذه الغيبة؛ لأنَّ هذهِ الذُّنوبَ لا يغفرُها اللهُ -سبحانه وتعالى- إلَّا أن يُسَامِحَ أهلُها.

ولذلك -أخي الحبيب- حتَّى تُحقِّقَ هذه التَّوبةَ النَّصوح؛ لا بدَّ أنْ تُحقِّقَ هذهِ الأشياءَ الأربعة؛ فقد قالَ اللهُ -سبحانه وتعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨)} [سورة التحريم].

والتَّوبةُ النَّصوحُ المرادُ بها هي: التَّوبةُ العامَّةُ الشَّاملةُ لكلِّ الذُّنوب، والَّتي يعقدُها الإنسانُ لا يريدُ بها إلَّا وجهَ الله -سبحانه وتعالى-، ويستمرُّ عليها، ويكونُ بعدَ التَّوبةِ

أفضلَ منه قبلَ هذهِ التَّوبة، حالُهُ يتغيَّرُ ويُحقِّقُ شروطَ التَّوبة، فبإذنِ الله -سبحانه وتعالى- يكونُ مِن التَّائبين، فيُحِبُّهُ الله -سبحانه وتعالى- كما في الحديث: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)[١].

هذا، وصلَّى اللهُ على محمَّد وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

[١] رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه. قال ابن حجر: سنده قوي. وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ، لا نَعْرِفُه إلّا من حديثِ عليِّ بن مَسْعَدةَ، عن قتادة.



الحلقة العاشرة

الحمدُ لله تعالى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

إخواني، اليومَ بإذنِ الله -سبحانه وتعالى- نتكلَّمُ عنِ الإخلاص، نسألُ الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقَنا وإيَّاكُم الإخلاص، وهذهِ مِن أهمِّ الأخلاقِ الَّتي يجبُ أن يتحلَّى بها المسلم؛ فقد قالَ اللهُ -سبحانه وتعالى-: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ} [سورة البينة: ٥].

اللهُ -سبحانه وتعالى- أمرنا بالعبادة، وأمرنا بإخلاصِ العبادة، فمَن أتى بالعبادةِ مِن غيرِ إخلاص؛ فإنَّ عبادتَهُ لا تكونُ مقبولة، فإنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- لا يقبلُ هذهِ العبادةَ وتُرَدُّ عليه، والعبادةُ كما أنَّها سببٌ في رضا اللهِ -سبحانه وتعالى- ودخولِ الجنَّة؛ قد تكونُ -بسببِ عدمِ الإخلاص- سببًا لدخولِهِ النَّار، والعياذُ بالله.

نعمْ، فالإنسانُ إذا فعلَ العبادةَ لله -سبحانه وتعالى- مخلصًا؛ فإنَّ الله -سبحانه وتعالى- يرضى عنه، أمَّا إذا فعلَ العبادةَ ولم يكنْ فيها مخلصًا؛ فإنَّ نفسَ هذهِ العبادةِ تكونُ سببًا لسخطِ اللهِ -سبحانه وتعالى- ودخولِ هذا الإنسانِ في جهنَّم، نعوذُ بالله مِن الخذلان.

فانظرْ؛ قالَ اللهُ -سبحانه وتعالى-: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)} [سورة الكهف]، فاللهُ -سبحانه وتعالى- هنا أمرَنا أنْ نعملَ العملَ الصَّالح، ومع العملِ الصَّالحِ لا نشركُ بعبادةِ الله -سبحانه وتعالى- أحدًا.

واسمعْ -أخي الحبيب- هذا الحديثَ العظيمَ الَّذي رواهُ الإمامُ مسلمٌ في صحيحِهِ[١]، قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبِهِ وسلم-: (أوَّلُ مَن تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ ثلاثةٌ)، مَن هُمْ يا تُرَى؟ هل هو هامانُ؟ هل هو فرعونُ؟ هل هو قارونُ؟ لا، (أوَّلُ مَن تُسعَّرُ بِهِمُ النَّار: عالمٌ وجوادٌ وشهيدٌ).

وأخبرنا رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- عنْ أعظمِ الأعمال: العلمِ والصَّدقةِ والجهادِ، فما دونَها مِن بابِ أولى.

فيقولُ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (فيأتي اللهُ -سبحانه وتعالى- بالعالِمِ فيعرِّفُهُ نِعَمَهُ فيَعْرِفُها، يقولُ اللهُ -سبحانه وتعالى-: علَّمتُكَ فماذا عملتَ في نعمتي؟ فيقولُ العالم: تعلَّمتُ العلمَ وعلَّمتُهُ في سبيلك، فيقولُ اللهُ -سبحانه وتعالى-: كذبتَ، وإنَّما تعلَّمتَ وعلَّمتَ ليُقَالَ: عالمٌ -مِن أجلِ أنْ يقولَ النَّاسُ: هذا العالمُ، هذا الشَّيخُ الكبير، هذا الدُّكتورُ، هذا كذا، هذا كذا-، وَقَدْ قيل -أخذَ حظَّهُ في الدُّنيا-، ثمَّ يُؤمَرُ به فيُسحَبُ على وجهِهِ في جهنَّم -نعوذُ باللهِ مِن الخذلان-.

ثمَّ يأتي اللهُ -سبحانه وتعالى- بالجواد -رجلٌ متصدِّقٌ، إذا قُلْنَا له: نريدُ بناءَ مسجدٍ، نريدُ إطعامَ مساكين، نريدُ مالًا في سبيلِ الله؛ فإذا بِهِ يُعطِي ويُنفِق، ولكنْ للأسفِ نيَّتُهُ كانتْ سيِّئةً، وكانَ مرائيًا-، فيأتي بِهِ اللهُ -سبحانه وتعالى- فيعرِّفُهُ نِعَمَهُ فيَعْرِفُها، ثمَّ يقولُ الله -سبحانه وتعالى-: ماذا عملتَ في نعمتي؟ فيقولُ: يا ربِّ، أنفقتُ في سبيلِكَ ابتغاءَ مرضاتِك، فيقولُ اللهُ -سبحانه وتعالى-: كذبتَ، وإنَّما أنفقتَ ليُقَالَ: جوادٌ، وقَدْ قيل، ثمَّ يُؤمَرُ بِهِ فيُسحَبُ على وجهِهِ في جهنَّم، ثمَّ يُؤتَى بالشَّهيد -قُتِلَ في المعركة- فيعرِّفُهُ نِعَمَهُ فيَعْرِفُها، ثمَّ يقولُ اللهُ -سبحانه وتعالى-: ماذا عملتَ في نعمتي؟ فيقولُ: يا ربِّ، قاتلتُ في سبيلِكَ ابتغاءَ مرضاتِك، فيقولُ الله -سبحانه وتعالى-: كذبتَ، وإنَّما

[١] جَمَعَ الحديث بعدة روايات، وذكره بالمعنى، لم يروه أحد بهذا اللفظ، أصله عند مسلم وأحمد والترمذي والنسائي. وأخرجه بأطول مما هنا عبد الله بن المبارك في الزهد، ومن طريقه البخاري في خلق أفعال العباد، والطبري في تفسيره، والحاكم. قال الترمذي: حسن غريب، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

قـاتلتَ ليُقَـالَ: شُجَاعٌ -وفي روايـة-: ليُقَـالَ: جـريءٌ، وقـدْ قيـل، ثمَّ يُـؤمَرُ بِـهِ فيُسحَبُ على وجهِهِ في جهنَّم).

ولـذلكَ رسـولُ الله -صلى الله عليه وآلـه وصحبه وسلم- يُسَأَلُ: الرَّجلُ يقاتلُ حميَّةً، والرَّجلُ يقاتلُ شَجاعَةً، الرَّجلُ يقاتلُ حميَّةً مِن أجلِ وطنِهِ، مِن أجلِ أرضِهِ، مِن أجلِ قبيلتِهِ، مِن أجلِ عشيرتِهِ...، والرَّجلُ يقاتلُ شجاعةً؛ أيُّ ذلكَ في سبيلِ الله؟ فإذا برسـولِ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يخبرُنا بقاعدةٍ هامَّةٍ قال: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[١].

لا في سبيلِ أرضٍ، ولا في سبيلِ وطنٍ، ولا في سبيلِ قـوميَّة، ولا في سبيلِ وطنيَّة، ولا في سبيلِ عرقيَّة...، وإنَّما قال: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، غيرُ ذلك ليسَ في سبيلِ الله -سبحانه وتعالى-، ضيَّعَ نفسَهُ وقُتِلَ وضاعَ عملُه، لماذا؟ لأنَّهُ كانَ مرائيًا، لم يكنْ مخلصًا، فاحذرْ أخي الحبيب؛ ولـذلك قـالَ بعضُ السَّـلف: "ما أسـهلَ أن تصلِّيَ ركعتين، ومَا أصعبَ أن تُخلِصَ النيَّةَ فيهما!".

فالإخلاصَ الإخلاصَ يا عبادَ الله؛ فإنَّه ربما يجتهدُ الإنسانُ في عملٍ كثير، ثمَّ يأتي يومَ القيامةِ ويُقَـالُ لـه: {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣)} [سـورة الفرقان].

وإليـكَ -أخي الحبيب- هـذهِ القصَّـة، وهي قصَّـةٌ لرجـلٍ مِن السَّـلف، وكانَ على علمٍ وتقى، وكانَ يعملُ خيَّاطًا يحيكُ الثِّيـاب، فـإذا بِـهِ يـروي أنَّـهُ اجتهـدَ مـرَّةً في صـنعِ ثـوبٍ، واجتهدَ واجتهدَ وتعبَ فيه وسَهرَ فيه، واجتهدَ أنْ يَخرُجَ هذا الثَّوبُ ليس فيه عيبٌ، وكانَ ينظرُ إليه فإذا وجدَ عيبًا؛ إذا بِهِ يعيدُ ويصلحُ ويجتهدُ أن يُحسِنَ حياكةَ هذا الثَّوب.

فبعدَ أنِ انتهى مِن صناعتِهِ؛ ذهبَ إلى البزَّاز، وهـو صـاحبُ البزِّ أو بائعُ البزِّ، أي: بائعُ القمـاش، فـذهبَ بـه بهـذا الثَّـوبِ لكي يبيعَـه، يقـولُ: فـإذا بـالبزَّازِ يُخـرِجُ لي في هـذا الثَّـوبِ

---

[١] رواه البخاري.

عيوبًا لم أكنْ أراها، يعني: أنَّه اجتهدَ وتعبَ، ومعَ ذلك كانتْ هناك عيوبٌ في هذا الثَّوبِ لم يكنْ يراها، يقولُ: فألقاهُ في وجهي، وجلسَ يبكي.

فأتاهُ أخٌ له وسألَهُ: ما يبكيك؟ فقالَ: أخشى أنَّنا نتعبُ في أعمالٍ ونجتهدُ فيها ونسهَرُ عليها؛ وقد يكونُ فيها عيبٌ من العيوبِ ونحنُ لا ندري، فلا يتقبَّلُها الله -سبحانه وتعالى- ويلقيهَا في وجهنا، ثمَّ قرأ قولَ الله -سبحانه وتعالى-: {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا}.

ولذلك -أخي الحبيب- ما السَّبيلُ إلى تحقيقِ الإخلاص؟ هذا يكونُ معنا في اللِّقاءِ القادمِ بإذن الله.

هذا، وصلَّى اللهُ على محمَّد وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وجزاكُمُ الله عنَّا خيرَ الجزاء.



الحلقة الحادية عشرة

الحمدُ لله تعالى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

أحبَّتي في الله، ما زلنا معَ فقهِ الأخلاق: "البرُّ حُسْنُ الخُلُق"، نسألُ الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقَنا الأخلاقَ الحسنة، وأن يُحسِّنَ أخلاقَنا.

تكلَّمنا في اللِّقاءِ السَّابقِ عنِ الإخلاص، ووعدناكُمْ أن نتكلَّم في هذا اللِّقاءِ عن كيفيَّةِ تحقيقِ الإخلاص، كيفَ نحقِّقُ الإخلاصَ أخي الحبيب؟

أوَّلًا: صدقُ اللُّجوءِ إلى الله، اعلم أنَّك لن تستطيعَ أن تحقِّقَ الإخلاصَ إلَّا بعونِ الله -سبحانه وتعالى-، ولو حاولتَ واجتهدتَّ ولم يوفِّقْكَ اللهُ -سبحانه وتعالى-؛ فلن تُوفَّق، فلا بدَّ أن تلجأ إلى الله -سبحانه وتعالى- وتستعينَ به -سبحانه وتعالى- وتطلبَ منهُ أن يرزقَك الإخلاصَ، تقومُ في ثلثِ اللَّيلِ الآخر، وتدعو الله -سبحانه وتعالى- دعاءَ المضطرِّ؛ لأنَّك لو فقدتَّ الإخلاصَ ضاع العملُ وضاعتْ حياتُك، فعليكَ أن تجتهدَ في أن تطلبَ مِن الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقَك الإخلاصَ في أوقاتِ استجابةِ الدُّعاء، وتُلحَّ في هذا الدُّعاءِ أن يرزقَك اللهُ -سبحانه وتعالى- الإخلاصَ.

وأيضًا: عليكَ أن تتعلَّمَ الإخلاصَ مِن أهلِ العلمِ الرَّبانيّين، سواءً من كُتُبِهِمْ أو مِن أخلاقِهِمْ أو مِن سَيَرِهِمْ، تتعلَّمُ الإخلاصَ علمًا، فيجبُ عليك أن تتعلَّم الإخلاص: كيفَ تُخلِصُ لله -سبحانه وتعالى-، فتنظُرُ -مثلًا- بعضَ أهلِ العلمِ يعلِّمُنا الإخلاصَ عنْ طريقِ أنْ ننظرَ في مآلاتِ النَّاس.

الإنسانُ يشغلُ نفسَهُ برضا النَّاس، ويفعلُ ويحسِّنُ من كلِّ أعمالِهِ لكي يُرضِي النَّاس، ولكي يظهرَ أمامَ النَّاسِ بمظهرٍ حسنٍ، فيقولُ بعضُهم: اعلمْ أنَّ أحبَّ النَّاس إليك، لو أنَّك متَّ الآنَ وأصابَهُ تعبٌ؛ فإنَّه سينشغلُ بتعبِهِ عنْ موتِك! تخيَّلْ كذا: أحبُّ



النَّاس إليك، لو أنَّك متَّ الآن، وهو أصابَهُ صُدَاعٌ؛ فبماذا سينشغلُ؟ هلْ سينشغلُ بك أم سينشغلُ بصداعِ رأسِهِ؟!

هذا أحبُّ النَّاسِ إليك! فهكذا تذكِّرُ نفسَك أنَّ رضا النَّاسِ لا ينفعُ ولا يضرُّ، وإنَّما أشغلْ نفسَك برضا اللهِ -سبحانه وتعالى-.

وأيضًا: عليكَ أن تعلَمَ أنَّك لن تستطيعَ أن تُرضِيَ النَّاسَ كلَّهم، نعمْ، وما قصَّةُ جُحَا وابنِهِ وحمارِهِ عنَّا ببعيد، قصَّةٌ في كُتُبِ الأدبِ العربيِّ تشيرُ إلى أنَّ الإنسانَ لا يشغلُ نفسَهُ برضا النَّاس؛ لأنَّه رضا النَّاسِ غايةٌ لا تُنَالُ.

فيقولون: إنَّ جُحَا كانَ معهُ حمارٌ، وكانَ معه ابنُه، فركب جُحَا على الحمارِ ومشى بجوارِهِ ابنُهُ، فرآهُ مجموعةٌ مِن النَّاس فقالوا: انظرْ إلى هذا الرَّجلِ القاسي، يركبُ هو ويتركُ ابنَهُ يمشي بجوارِهِ! فنزلَ جُحَا مِن على الحمار، ورَكِبَ ولدُهُ على الحمار، فمرَّ على مجموعةٍ مِن النَّاسِ فقالوا: انظروا إلى هذا الولدِ العاقِ، يركبُ هو ويترك أباهُ! فركبا جميعًا على الحمار، ومرَّا على مجموعةٍ مِن النَّاسِ فقالوا: انظروا إلى غلظةِ القلب، اثنانِ على حمارٍ! هؤلاءِ قلبُهُمْ غليظٌ! فنزلا جميعًا مِن على الحمار، ومَشَيَا بجوارِ الحمار، فمرُّوا على مجموعةٍ مِن النَّاس فقالوا: انظروا إلى هؤلاءِ الأغبياءِ معهُمْ حمارٌ ويمشونَ بجوارِهِ! فحملا الحمارَ ومَشَيَا، ومرُّوا على مجموعةٍ مِن النَّاس فقالوا: جُنَّ جُحَا وابنُه!

هكذا حالُ النَّاس، تضحكُ؟ لا تَضْحَكْ؛ هذا هو حالُنا! نحاولُ أن نُرضِيَ كلَّ النَّاس، ولا ننشغلُ برضا ربِّ النَّاس -سبحانه وتعالى-.

لذلك -أخي الحبيب- أشغلْ نفسَك برضا الله -سبحانه وتعالى-، ولا تُشغِلْ نفسَك برضا النَّاس؛ فالنبيُّ -صلى الله عليه وآله وصحبِهِ وسلَّم- حذَّرَ قال: (تَعِسَ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ! تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ)[١]، عبدُ القَطِيفَةِ والخَمِيصَة: عبدُ المَظَاهِر، الَّذي يُفرِّطُ في طاعةِ الله -سبحانه وتعالى- مِن أجلِ ماذا؟ مِن أجلِ أنْ يظهرَ في مظهرٍ حسنٍ أمامَ

[١] رواه البخاري وابن ماجه واللفظ له.



النَّاس، يُفرِّطُ في طاعةِ الله -سبحانه وتعالى-، بلْ وقد يعصي اللهَ -سبحانه وتعالى- مِن أجلِ أن يُرضِي النَّاس، هذا أمرٌ عظيمٌ جدًّا، الإنسانُ يجبُ أن ينتبهَ لمثلِ هذهِ الأمور.

لذلك -أخي الحبيب- عليكَ أوَّلًا أنْ تصدقَ النيَّةَ مع الله -سبحانه وتعالى- وتصدقَ اللُّجوءَ إلى الله -سبحانه وتعالى-، وعليكَ أن تتعلَّمَ الإخلاص، وعليك أن تذكِّرَ نفسَك أنَّ رضا النَّاسِ لن يُفِيدَكَ في شيء، وإنَّما رضا الله -سبحانه وتعالى- هو الَّذي ينفعُك، وسخطُه هو الَّذي يضرُّك.

ولكنَّ هناك مشكلةً؛ أنَّ بعضَ النَّاسِ حينما يُقدِمُ على عملٍ ويشعرُ أنَّ في قلبِهِ رياءً؛ يُحجِمُ عنِ العمل، هذا أمرٌ خطيرٌ جدًّا.

يذهبُ إلى الصَّلاة، فيسألُ نفسَهُ: لماذا أصلِّي؟

فنفسُهُ تقولُ: مِن أجلِ أنْ يراك النَّاس، ويظنُّوا أنَّك على خير، وكذا...، فيُحجِمُ عنِ الصَّلاة، هذهِ مصيبةٌ، وإنَّما الَّذي عليك -أخي الحبيب- أنْ تُقدِمَ على العمل، وتجتهدَ أن تدفعَ الرِّياءَ مِن قلبِك، تجتهدُ في هذا، تُقدِمُ على العمل، وتذكِّرُ نفسَك: يا ربِّ، ارزقْني الإخلاصَ، يا ربِّ، رضا النَّاسِ لا ينفع، وسخطُهُمْ لا يضرُّ، فتذكِّرُ نفسَك أثناءَ العملِ بذلك، وتدفعُ وتجتهدُ وتُفرِغُ مَا في وسعِكَ أنْ تدفعَ هذهِ الوساوسَ مِنَ القلب، وتُقدِمَ على العمل.

فإنِ اندفعتْ؛ فللَّه الحمدُ والمنَّة، وإنْ لم تندفع؛ فلا يضرُّك منها شيءٌ بإذنِ الله، لماذا؟ لأنَّ الله -سبحانه وتعالى- رحيمٌ، لا يُكلِّفُ نفسًا إلَّا مَا آتاها، وأنتَ فعلتَ مَا في وسعِك، فلا شيءَ عليكَ، لا يضرُّك في ذلكَ شيءٌ؛ ولذلكَ اجتهدْ وأقدمْ على العمل، ولكنْ حاولْ أن تُخلِصَ النيَّة، حاولْ أن تطردَ هذهِ الوساوس، فبإذنِ اللهِ -سبحانه وتعالى- يقبلُ منك هذا العملَ.

نكرِّرُ مرَّةً أخرى: إذا أردتَّ أن يرزقَك اللهُ الإخلاصَ؛ فاصدقِ اللُّجوءَ إلى الله -سبحانه وتعالى- واستعنْ بالله -سبحانه وتعالى- وادعُ اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يرزقَك الإخلاصَ،



وتعلَّمِ الإخلاصَ مِن كلامِ الله -سبحانه وتعالى- ومِن كلامِ نبيِّنا -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ومِن كلامِ أهلِ العلم.

هذا، وصلَّى اللهُ على محمَّد وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وجزاكُمُ اللهُ عنَّا خيرَ الجزاء.



الحلقة الثانية عشرة

الحمدُ لله تعالى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

إخواني، اليومَ نتكلَّمُ عنْ خُلُقٍ جديدٍ مِن أخلاقِ المسلمين، ألا وهو الصِّدقُ، نسألُ الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقَنا وإيَّاكُم الصِّدقَ؛ قالَ اللهُ -سبحانه وتعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)} [سورة التوبة]، نسألُ الله -سبحانه وتعالى- أن يجعلَنا معَ الصَّادقين.

والصِّدقُ لغةً هو: مطابقةُ القولِ الضَّميرَ والمُخبَرَ عنه معًا، يعني مطابقةَ القولِ لما في القلب، إنسانٌ يتكلَّمُ بشيءٍ، يكونُ في قلبِهِ نفسُ هذا الشَّيءِ ولا يخالف.

واصطلاحًا: الوفاءُ لله -سبحانه وتعالى- بالعمل، وقيل: هو موافقةُ السِّرِّ النُّطقَ، وقيل: هو استواءُ السِّرِّ والعلانية، يعني: أنَّ الكاذبَ علانيته خيرٌ مِن سريرتِهِ؛ فالمنافقُ ظاهرُهُ خيرٌ مِن باطنِه، وقالَ بعضُ أهلِ العلم: الصِّدقُ هو القولُ بالحقِّ في مواطنِ الهلكة.

والصَّادقينَ ينفعهُمُ الصِّدقُ، قالَ اللهُ -سبحانه وتعالى-: {قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)} [سورة المائدة].

وقالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)[١].

---
[١] متفق عليه.



فاحذرْ أخي الحبيب؛ كثيرٌ مِن النَّاسِ يَكذِبُ ويبرِّرُ لنفسِهِ الكذب، يقولُ: هذا يجوزُ، هذا لمصلحةٍ شرعيَّة، هذا لكذا وكذا...، نعوذُ باللهِ مِن الخذلان، ويظلُّ يَكذِبُ يَكذِبُ...، حتَّى يُكتَبَ عندَ اللهِ -سبحانه وتعالى- كذَّابًا، وأيُّ مصلحةٍ في معصيةِ اللهِ -سبحانه وتعالى-؟!

وإنَّما الكذبُ يجوزُ عند لقاءِ العدوِّ، وعندَ الإصلاحِ بين النَّاس، وبينَ الزَّوجِ وزوجتِه، ولكنْ بشرطِ أن لا يكونَ في مسائلِ الحقوق، لا يأتي في مسائلَ فيها حقوقٌ ويقولُ: هذا إصلاحٌ بينَ النَّاس، وإنَّما الإصلاحُ بينَ النَّاس في غيرِ مسائلِ الحقوق، يجوزُ له الكذبُ آنذاك.

مثلًا: إنسانٌ تكلَّم في حقِّ إنسانٍ بينَهُ وبينَهُ مشاجرةٌ، فسبَّهُ ولم يسمعِ الآخر، فأنتَ تذهبُ وتقولُ: هذا الإنسانُ يتكلَّمُ عنك بالخير، فهذا آنذاكَ كذبٌ، ولكنْ أباحَهُ اللهُ -سبحانه وتعالى- بلْ هو مستحبٌّ في هذا الباب.

وفي صحيحِ الإمامِ مسلمٍ: قالَ رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ -وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ-: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ).

فيا أيُّها المسلم، كلمةُ "المسلم" توحي لسامعِهَا بكلِّ معاني الصِّدقِ والشَّهامةِ والإخلاص، فلا يليقُ بك إلَّا ذلك، أخي الحبيب، أنتَ تحملُ دعوةً، وأنتَ تمشي تحملُ دعوةً بأخلاقِك، بأفعالِك، تحملُ دعوة؛ فربَّ داعٍ إلى اللهِ -سبحانه وتعالى- بقولِهِ وهو يصدُّ عنْ سبيلِ اللهِ -سبحانه وتعالى- بفعله! احذرْ مِن ذلك أخي الحبيب، احذرْ احذرْ احذرْ؛ أنْ تكونَ تدعو إلى اللهِ -سبحانه وتعالى- بلْ وقدْ يكونُ إنسانٌ يجاهدُ في سبيلِ اللهِ -سبحانه وتعالى- وهو يصدُّ عنْ سبيلِ اللهِ -سبحانه وتعالى- بأفعاله! يكذبُ! مسلمٌ يكذب؟! نسألُ اللهُ السَّلامةَ والعافية.



فأخي الحبيب، لا يليقُ بك أن تتَّصفَ بصفاتِ المنافقين، وصفاتُ المنافقين أبرزُها الكذب، فقلِ الحقَّ، ولا تخشَ في اللهِ لومةَ لائمٍ، ولو على نفسِك.

واعلمْ أنَّ الكذبَ لا يجوزُ إلَّا في المواضعِ الَّتي ذكرناها، كما في حديثِ أمِّ كلثومَ بنتِ عقبةَ -رضي الله تعالى عنها- قالت: قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (لَا أَعُدُّهُ كَاذِبًا: الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، يَقُولُ الْقَوْلَ وَلَا يُرِيدُ بِهِ إِلَّا الْإِصْلَاحَ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِي الْحَرْبِ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ، وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا)[١]، وكذلكَ لإنقاذِ نفسِ مسلمٍ أو مالِهِ إذا كانَ مطلوبًا بظلم، فآنذاك يجوزُ لك أنْ تكذبَ، إذا كانَ مطلوبًا بظلمٍ -وأنتَ تعلمُ يقينًا أنَّه مظلومٌ-؛ فيجوزُ لكَ أن تكذبَ آنذاك، غيرُ ذلك لا يجوزُ.

وأخطرُ مِن ذلك: الَّذي يُربِّي أبناءَهُ على الكذب، يكونُ في البيت، يأتي أحدٌ يطرقُ الباب، يَخرُجُ الطِّفلُ الصَّغير، يقولُ: أينَ أبوك؟ فيأتي فيقولُ: قلْ لَهُ ليس موجودًا، فيُربِّي ابنَهُ على الكذب، ثمَّ بعد ذلك إذا كَذَبَ الولدُ يضربُهُ ويعاقبُهُ! أنتَ الَّذي ربَّيتَهُ على ذلك، أنتَ الَّذي جوَّزتَ له الكذبَ، وجعلتَهُ يستهينُ بالكذب! فاحذرْ أخي الحبيب، وإيَّاك وخصالَ المنافقين.

هذا، وصلَّى الله على محمَّدٍ وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

---

[١] رواه أحمد وأبو داود والترمذي والبيهقي. قال الأرنؤوط: هذا حديث لا يصحُّ رفعه للنبي ﷺ، وإنما هو مدرج من كلام الزهري، فقد قال الدارقطني في العلل، بعد أن أورد هذه الرواية: وهذا منكر، ولم يأت بالحديث المحفوظ الذي عند الناس. وقد نبه أيضاً على هذا الوهم الحافظ في الفتح فقال: وهذه الزيادة مدرجة، بَينَ ذلك مسلم في روايته من طريق يونس، عن الزهري فذكر الحديث، قال: وقال الزهري: (ولم أسمع يُرخص في شيء مما يقول الناس كذلك إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها). وقال الحافظ أيضاً: وكذا أخرجها النسائي مفردة.



الحلقة الثالثة عشرة

الحمدُ لله تعالى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

إخواني، اليومَ نتكلَّمُ عنْ أخلاقِ المنافقين؛ لنحذِّرَ منها، كما قالَ حذيفةُ: "كانَ النَّاسُ يسألونَ رسولَ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- عنِ الخير، وكنتُ أسألُهُ عنِ الشَّرِّ؛ مخافةَ أنْ يُدرِكَني"، وكما قالَ القائلُ:

عرفتُ الشَّرَّ لا للشَّرِّ *** لكنْ لتوقِّيهِ
ومَن لا يعرفِ الشَّرَّ *** مِن الخيرِ يقعْ فيهِ

فالمنافقونَ هُمْ أخطرُ فئةٍ على هذه الأمَّة؛ وذلك لأنَّهُمْ يُظهِرُونَ الخيرَ ويُبطِنونَ الشَّر، وهذا هو أساسُ كلِّ أخلاقِهم، فالمسلمُ يجبُ أن يكونَ أبعدَ النَّاسِ عنِ المنافقينَ باطنًا وظاهرًا؛ فهو في أعلى الدَّرجاتِ في الدُّنيا والآخرة، وهم في أسفلِهَا في الدُّنيا والآخرة.

وأهمُّ أخلاقِ المنافقين: الكذبُ والغدرُ وإخلافُ الوعدِ وخيانةُ الأمانةِ ونقضُ العهدِ والفجورُ في الخصومة.

قالَ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)[١]، وقالَ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا وَإِنْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فِيهِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ)[٢]، فيجبُ على المسلمِ أن يكونَ صادقًا وَفِيًّا أمينًا حليمًا بارًّا، على عكسِ المنافقين.

---

[١] رواه البخاري ومسلم.

[٢] رواه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له.

ولنأتِ -مثلًا- إلى الوفاءِ، والوفاءُ هو: ضدُّ الغدر، يقالُ: وَفَى بعهدِهِ يفي وَفَاءً، وأوفى: إذا تمَّمَ العهدَ ولم ينقضْ حفظَهُ.

ومعناه اصطلاحًا: هو ملازمةُ طريقِ المواساة، ومحافظةُ عهودِ الخلطاءِ، وقيل: هو الصَّبْرُ على مَا يبذلُهُ الإنسانُ مِن نفسِه، ويرهنُ به لسانَه، والخروجُ ممَّا يضمنُهُ وإنْ كانَ مجحفًا به.

عنْ عائشةَ -رضي الله تعالى عنها- قالت: قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُوفُونَ الْمُطَيَّبُونَ)[١].

وقالَ اللهُ -سبحانه وتعالى-: {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)} [سورة الرعد].

قال الشَّوكانيُّ -رحمه الله- في تفسيرِ هذهِ الآية: "أي: بِمَا عقدُوهُ مِن العهودِ فيما بينَهُمْ وبينَ ربِّهم، أو فيما بينَهم وبينَ العباد، {ولَا ينقُضُونَ الميثاقَ} الَّذي وثَّقُوهُ على أنفسِهم، وأكَّدُوهُ بالأيمانِ ونحوِها.

وهذا تعميمٌ بعد التَّخصيص؛ لأنَّه يدخلُ تحتَ الميثاقِ كلُّ ما أوجبَهُ العبدُ على نفسِهِ كالنُّذورِ ونحوِها، ويُحتمَلُ أن يكونَ الأمرُ بالعكس، فيكونَ مِن التَّخصيصِ بعد التَّعميم، على أنْ يُرادَ بالعهدِ جميعُ عهودِ الله -سبحانه وتعالى-، وهي أوامرُهُ ونواهيه الَّتي وصَّى بها عبيدَه، ويَدخُلُ في ذلك الالتزاماتُ الَّتي يُلزِمُ بها العبدُ نفسَه.

ويُرَادُ بالميثاقِ مَا أخذَهُ الله -سبحانه وتعالى- على عبادِهِ حينَ أخرجهُمْ مِن صلبِ آدمَ في عالمِ الذَّر، المذكورُ في قولِ اللهِ -سبحانه وتعالى-: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن

[١] رواه وأحمد، قال الأرنؤوط: إسناده حسن من أجل ابن إسحاق، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. ورواه الحاكم من طريق آخر، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم! ولم يخرجاه. فتعقبه الذهبي بقوله: يحيى (يعني ابن سلام) ضعيف، ولم يخرج له أحد. هذا حديث صحيح على شرط مسلم! ولم يخرجاه. أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد والبزار وإسناد أحمد صحيح.



ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢)} [سورة الأعراف]".

أمَّا الأمانةُ؛ فمعناها: كلُّ حقٍّ لَزِمَكَ أداؤُهُ وحفظُه، وقيلَ: هي التَّعفُّفُ عمَّا يتصرَّفُ الإنسانُ فيه مِن مالٍ وغيرِه، وما يُوثَّقُ به عليه مِن الأعراضِ مع القدرةِ عليه، وردُّ ما يُستودَعُ إلى مُودِعِه.

يعني: الإنسان إذا استودعَكَ شيئًا؛ فالأمانةُ أن تردَّ هذهِ الوديعة، وتتعفَّفَ في الأشياءِ الَّتي عندَك مِن الحقوق، فلا تأخذَهَا ولا تتصرَّفَ فيها إلَّا بما يُرضِي اللهَ -سبحانه وتعالى-.

وقالَ بعضُ أهلِ العلمِ في تعريفِ الأمانة: هي كلُّ ما افتُرِضَ على العباد؛ فهو أمانةٌ كصلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وأداءِ دينٍ، وأوكَدُهَا الودائعُ، وأوكدُ الودائعِ كتمُ الأسرار.

قالَ اللهُ -سبحانه وتعالى-: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٣)} [سورة الأحزاب]، فقد عظَّم اللهُ -سبحانه وتعالى- شأنَ الأمانةِ الَّتي ائتمنَ اللهُ -سبحانه وتعالى- عليها المكلَّفين، الَّتي هي امتثالُ الأوامرِ واجتنابُ المحارم، في السِّرِّ والعلن.

واللهُ -سبحانه وتعالى- عرضَها على المخلوقاتِ العظيمة -كالسَّماواتِ والأرضِ والجبال- عَرْضَ تخييرٍ لا تحتيم، وأنَّك إنْ قمتَ بها وأدَّيتَها على وجهِها؛ فلكَ الثَّواب، وإنْ لم تقوموا بها ولم تؤدُّوها؛ فعليكم العقابُ، {فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا}، أي: خوفًا أنْ لا يَقُمْنَ بما حُمِّلن، لا عصيانًا لربِّهنَّ، ولا زهدًا في ثوابِه.

عرضها اللهُ -سبحانه وتعالى- على الإنسانِ على ذلكَ الشَّرطِ المذكور، فقَبِلَهَا الإنسانُ، وحَمَلَها معَ ظلمِهِ وجَهْلِه، حَمَلَ هذا الحملَ الثَّقيلَ، وقد قالَ رسولُ الله -صلى

الله عليه وآله وصحبه وسلم-: (أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)[١]، حتَّى ولو خانك فلا يجوزُ لك أنْ تخونَ، نعوذُ بالله مِن الخيانة، ونسألُ اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يرزقَنا الأمانة.

هذا؛ وصلَّى اللهُ على محمَّدٍ وآله وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وجزاكُمُ الله عنَّا خيرَ الجزاء.

---

[١] رواه الترمذي وأبو داود والدارمي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قال ابن القيم في إغاثة اللهفان: هذا وإن كان في حكم المنقطع فإن له شاهدا من وجه آخر. صححه الحاكم، وقواه الذهبي في تلخيص العلل.

لا تنسوا إخوانكم من الدعاء



البِرُّ حُسْنُ الخُلُق



البِرُّ حُسْنُ الخُلُق